(جون وانزبروغ) رائدُ النَّظَرِيَّةِ الشَّكِّيَّةِ في جَمْعِ القُرْآنِ الكَرِيمِ في دِراسَتِهِ المَوْسُومَةِ (دِراساتٌ قُرْآنِيَّة)

(الجزء الأول)

أ.د. عبد الجبار ناجي
بيت الحكمة - بغداد

فحوى البحث

في دراسة سابقة للاستاذ الباحث، نشرت في مجلة (المصباح) في عددها الثالث والعشرون (خريف ٢٠١٥) بعنوان (اهتمام المستشرقين بعملية جمع القرآن الكريم)، لم يقدم السيد الباحث، ضمن العنوان الرئيس أيَّ اسم من أسماء المستشرقين، على اساس أن البحث المذكور مدخل اساسي للتوجهات التي تركزت حوله جل اهتمام اولئك المستشرقين بالموضوع.

وها هو ذا الاستاذ الباحث، وبحكم تخصصه بالدراسات الاستشراقية، يعود الى المهتمين بمثل هذه الأبحاث الرصينة ليعرض وجهة نظر اولئك المستشرقين في مسألة (جمع القرآن) والتي كان (نولدكه) من أوائل من تصدوا لهذا البحث الحساس.

وبالنظر الى طول البحث وأهميته، قمنا بتجزئته على قسمين اتماماً للفائدة المتوخاة من كشف الأغراض الحقيقية لخوض مثل هذه الموضوعات من قبل اناس لايهمهم الا الطعن بعظمة القرآن الكريم وإعجازه.

في دراستنا التي نشرت على صفحات مجلة المصباح العتيدة بعنوان "اهتمام المستشرقين في عملية جمع القرآن الكريم" لم أقدّم ضمن العنوان الرئيس أي اسم من أسماء المستشرقين على اعتبار أنه مدخل أساسيّ للتوجهات التي تركّزت حوله جلّ اهتمام المستشرقين ومنذ أول اهتمام قد أشرنا اليه خلال العقد الثالث من القرن التاسع عشر؛ وفي قبالة هذا الاهتمام فإن هذه المسألة الحيوية لم تنل أي انتباه ودراسة من الجانب العربي والمسلم. إذ كما أشرت في القسم الأول بأن أول استجابة عربية لتأثير كتاب نولدكة الموسوم (تاريخ القرآن) قد نهد بها أحد العلماء الإيرانيين هو أبو عبد الله الزنجاني (المتوفى في عام ١٩٤٧) في كتابه الذي حمل نفس عنوان كتاب نولدكة باللغة الألمانية (تاريخ القرآن Geschichte des Qurans)[1]. والزنجاني تعبيرا عن شكره لنولدكة فقد أشار في الفصل الأخير من تاريخه للقرآن المجيد الى تاريخ نولدكة مثمّنا عمله الذي وصفه بكونه العمل الرائع والبارع. آخذين بنظر الإعتبار أن كتاب نولدكة الذي كان يعدّ في الأساس رسالته للدكتواة قد سمّى الكتاب تاريخ القرأن في الوقت الذي كانت التسمية في أصل لرسالته العلمية تحمل تسمية أخرى وهي (بنية أو أصول السور القرآنية)، فضلا عن ذلك فقد طبع تاريخ القرآن لنولدكة في عام ١٨٦٠ م أي بعد أربع سنين من حصوله على الدكتوراه؛ بمعنى آخر إن الزنجاني قد طبع كتابه بعد حوالى خمس وسبعين سنة من كتاب نولدكة، فطبعته الأولى في القاهرة من أعمال لجنة التأليف والترجمة المصرية كان في ١٩٣٥م.

فالملاحظ أن جميع تلك الاسهامات العربية والإسلامية كانت متأخرة بأكثر من نصف قرن على المبادرة الأولى

(١) Rahmani، Abd al -Latif; Tarikh al Qur'an (Hayderabad، 1919 Pp. 12 -15، as cited from Shehzad Saleem; Collection of the Qur'an: A Critical and Historical Study of Al -Farahi's View (Ph. D. University of Wales Lampeter (2010) Pp. 351 -352

للدكتور ثيودور نولدكة، ولعلها كانت أصداء ونتائج لتلك المبادرة[٢]. ومهما يكن فأن الدراسات العربية الإسلامية الي نشرت بعد كتاب الزنجاني (تاريخ القرآن) قد تصاعدت كثيرا وبالأخص تلك التي تتمحورحول مسألة جمع القرآن وتاريخ ذلك الجمع وتاريخ القرآن الكريم[٣].

فإذا ما علمنا بأن إنتاج نولدكه هو العامل المؤثر في الكتابة العربية

(٢) Shezad. Ibid. P. 352. هو الشيخ "حميد الدين أبو أحمد عبد الحميد بن عبد المحسن الأنصاري الفراهي"، ولد سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٤م) في قرية "فيرها" من قرى مديرية "أعظم كره" بشبه القارة الهندية، وبدأ تعليمه منذ ترعرعه.. فحفظ القرآن صغيرا -شأنَ أبناء العائلات الشريفة في الهند -وبرع في الفارسية حتى نَظَم فيها الشعر وهو ابن ستة عشر عاما، ثم اشتغل بطلب العربية وعلومها على يد ابن عمته العلامة المؤرخ الأديب شبلي النعماني (١٢٧٤-١٣٣٢هـ/ ١٨٥٨ -١٩١٤م)، وكان أكبر منه بست سنين. كما تلقى العلم في حلقة الفقيه الحنفي المحدث العلامة الشيخ «أبي الحسنات محمد عبد الحي اللَكنوي» (١٢٦٤ -١٣٠٤هـ/ ١٨٤٨-١٨٨٧م) وغيره من علماء عصره، ثم عَرَّج بعد ذلك على اللغة الإنجليزية وهو ابن عشرين سنة، والتحق بكلية «عليكره» الإسلامية، وحصل على «الليسانس» في الفلسفة الحديثة من جامعة «الله آباد». اقضى وطره من طلب العلم، واستقى من حياضه.. عُين معلما للعلوم العربية بمدرسة الإسلام بكراتشي (عاصمة السند آنذاك)، فدرس فيها سنين، وكتب وألَّف وقرض وأنشد، ثم انقطع بعد ذلك إلى تدبر القرآن ودرسه، وجمع علومه، فقضى فيه أكثر عمره حتى توفي رحمة الله في ١٩/ ٦/ ١٣٤٩هـ (١١/ ١١/ ١٩٣٠م) في مدينة «متهورا» حيث كان يتطبب من مرض ألم به. ومن مصنفاته المطبوعة في علوم القرآن:-

- دلائل النظام (١٢٧ صفحة -نشر الدائرة الحميدية بالهند -ط١/ ١٣٨٨هـ).
- مفردات القرآن (٤٧٥ صفحة -بتحقيق د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي -دار الغرب الإسلامي ببيروت -ط١/ ٢٠٠٢م).
- إمعان في أقسام القرآن (١٤٧ صفحة- دار القلم بدمشق -ط١/ ١٤١٥ هـ- ١٩٩٤م).
- التكميل في أصول التأويل (٦٩ صفحة- نشر الدائرة الحميدية بالهند ـ ط١/ ١٣٨٨هـ).
- مجموعة رسائل الفراهي (مطبوعة بالهند).
- أساليب القرآن.

(٣) Ibid.

والإسلامية عن جمع القرآن لم يكن الأول من نوعه في هذا الاهتمام القرآني المهم؛ فاعتمادا على ملاحظة المستشرق الكندي المعاصر أندرو ربن Andrew Rippn الأستاذ في قسم التاريخ في جامعة فكتوريا University of Victoria وهو عضو في أكاديمية الأديان الأمريكية American Academy of Religon[٤] وعضو في الجمعية الأمريكية الشرقية American Oriental Society منذ سنة ١٩٨٠ ويشغل الآن عضوية المجلس البحثي الأسترالي[٥]، في تعليقه على تاريخ القرآن لنولدكة وبكونه يشكل أول دراسة للإستشراق الألماني عن تاريخ القرآن وعملية جمعه بعد وفاة رسول الله ﷺ، وهاهنا يشير المستشرق بأن هناك دراسة أخرى سبقت دراسة نولدكة وهي لعالم يهودي ألماني آخر سبق في نشره كتاب نولدكة تاريخ جمع القرآن الكريم بحوالى ثلاث عقود[٦]، ذلك هو أبراهام جيجر Abraham Geiger المستشرق الألماني المعروف بدراساته (١٨١٠ -١٨٧٤). وكان لدراسته تأثير على الباحثين وقد أدت الى ظهور دراسات أخرى على شاكلتها أي بخصوص التأثير اليهودية أو التوراتي على القرآن أو على الإسلام أو حتى على رسول الله ﷺ[٧].

ولذلك فمن المرجح القول بأن إستجابة العلماء العرب والمسلمين لإهتمامات المستشرقين وتوجهاتهم في

(٤) See Morteza Karimi -Nia ;" The Histoiography of the Qur'an in the Muslim World: The Influence of Theodor Noldeke " in Encyeloaedia Islamica Foundation، Tehran) Pp. 57 -63.

(٥) Andrew Rippin: The Qur'an and its interpretive tradition ((Aldershot: Variorum، 2000).

(٦) Wansbrough، John: Qura'in Studies (edited by Andrew Rippin forward Pp. 1X—X11.

(٧) Andrew Rippin: Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation، John Wansbrough (٢٠٠٤).

مثل هذا الميدان المهم جدا -والذي ينبغي أن ينل ما فيه الكفاية والاستحقاق الكثير لاهتمام العلماء المسلمين الأوائل الذين حقّقوا الكثير من الإنجازات في مواضيع جمع القرآن الكريم وفي تفسير القرآن وفي اختلاف القراءات وغير ذلك من جوانب دقيقة وفعالة في هذا الميدان.

وهناك دراسة نظيرة لدراسة إباهام جيجر وأقصد هنا دراسة المستشرق جون ونزبورو [أو ونزبوروغ] John Wansbrough عدّت من قبل الغربيين بمثابة النظرية theory ألا وهي أن جمع القرآن الرسمي والشرعي والمعترف به إنّما بدأ بعد حوالى الماتتين سنة من الهجرة النبوية وبالذات زمن العباسيين. فلم يكن للمسلمين حتى ذلك التاريخ قرآن إنّما كان هناك بحدّ زعم المستشرق ونزبورو روايات شفاهية لا غير أو بما أطلق عليها Prophetic Logia. والأنكى من ذلك إن هذه الفرضية لجون ونزبوروغ قد درست بشكل تام وواضح في كتابه (دراسات قرآنية) المطبوع في عام ١٩٧٤م، ولم يعرّض هذا الكتاب أو لم يردّ على آراء المستشرق في الدراسات العربية العليا منها والدنيا، لولا تصدي نفر من الباحثين المسلمين من أمثال سيف الله S. M. Saifullah ومرتضى كريمي-نيا Morteza Karimi -Nia وخرم سومرا Khurram Soomra والياس كريم Elias Karim، وعبد الله سعيد Saeed وغيرهم فنشروا دراساتهم وردودهم في المجلات الأجنبية وعلى مواقع الإنترنيت المختلفة. فهؤلاء الباحثين، وفقهم الله تعالى، عرّفوا القارئ بهذه النظرية التي نالت من إعجاب الكثير من المستشرقين إن كانوا ممّن تتلمذ على يديه نظير جون بيرتون J. Burton وكوك CookM. أو ممّن تأثر بهذه النظرية من المستشرقين وغير المستشرقين.

وعلى هذا الاعتبار فاعتمادا على رأي المستشرق الكنديأندرو ربن فإن تاريخية الكتابة عن مسألة جمع القرآن عند المستشرقين قد تمثّلت بعدد من

الدراسات الاستشراقية على وفق تسلسلها في التأثير والأهمية ألا وهي:- مساهمة المستشرق الألماني إبراهام جيجر Geiger أولا ثمّ مساهمة المستشرق الألماني ثيودور نولدكة Noldeke ثانيا ودراسة المستشرق جون ونزبرو Wansbrough ثالثا ونضيف الى هذه الدراسات دراسة تلميذ المستشرق البريطاني جون بيرتون Burton رابعاً ودراسة المستشرق أندرو ربن Rippin خامسا ودراسة المستشرق مايكل كوك والمستشرقة باتريشيا كرونه Crone سادسا ودراسة المستشرق John Gilchrist جون جلكرايست من جنوب إفريقيا سابعا.

المستشرق ونزبروغ Wansbrough وآرائه في كتابه (دراسات قرآنية) (Qur'anic Studies)

عدّ البروفسورأندرو ربن A. Rippin المستشرق الكندي، الذي تتلمذ على يدي المستشرق جون أدوارد ونزبروغ John Edward Wansbrough أحد المفكرين الأفذاذ وواحد من أشهر المفكرين إبداعا وأصالة في ميدانالدراسات الإسلامية. ولد ونزبرو في ١٩ من شهر شباط عام ١٩٢٨ في مدينة بيوريا Peoria، ILLINOIS في الولايات المتحدة. وقد أكمل دراسته في جامعة هارفرد Harvard University وأمضى بقية عمره العلمي يدرس في جامعة لندن في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية المعروفة برمز SOAS، وتوفي في العاشر من شهر حزيران عام ٢٠٠٢. كان في الحقيقة مستشرقا أمريكيا درّس في جامعة لندن وهو استاذاً في الدراسات السامية Semitic Studies والرئيس أو المدير السابق لجامعة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية. وبالنظر الى تمرّسه في الجوانب اللغوية التي دلّت عليه براعته اللغوية في عدة لغات كما هو متميز وبيّن في كتابه (دراسات قرآنية) إذ كان مهيمنا على اللغة الإنجليزية والعربية واللاتينية والعبرية والإغريقية والألمانية وكانت له معرفة وصلة حميمة

بلغة التوراة والمصادر التوراتية التي تمّ اعتمادها من قبل، علماء دراسات التوراة والإنجيل. وهومؤلف عدّة دراسات فضلا عن دراساته (دراسات قرآنية) نذكر منها الآتي:-

- Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation (Oxford، 1977).
- The Sectarian Milieu: Content and Composition of Islamic Salvation History (Oxford، 1978).
- Res Ipsa Loquitur: History and Mimesis (1078).
- Lingua Franca in the Mediterranean (Curzun Press، 1996).
- Res Ipsa Loquitur: History and Mimesis (Reprint by World Scientific Publishing، 2012)).[٨]

(٨) وهي المعوفة اختصارا باللغة الإنجليزية اختصارا SOAS)) بالمدرسة التابعة الى جامعة لندن وقد درست فيها وحصلت على شهادة الدكتوراة تحت اشراف البروفسور الراحل برنارد. بالمدرسة التابعة الى جامعة لندن وقد درست فيها وحصلت على شهادة الدكتوراة تحت اشراف للبروفسور الراحل برنارد لويس – Be nard Lewis للفترة بين ١٩٦٦ حتى ١٩٧٠ وكنت في قسم الدراسات الشرقية إذ كان البروفسور مايكل كوك M. Cook المستشرق المعروف في مؤلفاته الكثيرة عن التاريخ الإسلامي والدراسات القرآنية واشتهر بكتابه (الهاجرية) مع البروفسورة الدانمركية باتريشيا كرونه Patricia Crone. وكان البرفسور ونزبرو في قسم الدراسات السامية التي تشتمل على الدراسة اللغوية ولذلك فإن كتابه دراسات قرآنية يقع الى حدّ ما ضمن هذا التوجه اللغوي كما سنبينه في البحث (الباحث). وعن المستشرق ونزبوروغ ينظر ويكبيديا Wikipedia و Amazon Product Description One of the most innovative thinkers in the field of Islamic Studies was John Wansbrough (1928 –2002)، affiliated throughout his career with London University's School of Oriental and African Studies.. ومن مؤلفاته المطبوعة: –

لقد كان لهذه الميزة العلمية في اتقانه اللغات الأجنبية والقديمة منها على وجه الخصوص سلبيات أضحت وكأنها مشاكل في عدم رواج كتابه (دراسات قرآنية) فكان من بين المشاكل في قراءة كتاب ونزبوروغ من القراء غير المتخصصين، كما بيّنه العديد من الذين عرضوا وقيّموا نظريته من المستشرقين وغيرهم، صعوبته وصعوبة المصطلحات الغربية والأجنبية المستخدمة فيه، وأن اسلوب كتابته ومنهجه في التعامل مع عملية جمع القرآن الكريم بل وموقفه من القرآن الكريم كانت أكاديمية صرفة من الصعب على الفرد العادي فهمها جميعا إلّا أولئك الذين لهم شأن واختصاص محدّد في ميدان الدراسات القرآنية. فمثلا يرى المستشرق كارول كرستين Carool Kersten وهو أستاذ في قسم دراسة الأديان في جامعة لندن SOAS (أي من نفس الجامعة التي كان جون ونزبروغ Wansbrough يدّرس فيها في السبعينيات)، في تعقيبه على كتاب ونزبوروغ (Quranic Studies) المطبوع طبعة أخيرة بتحقيق وترجمة البروفسور أندرو ربن Rippin في عام ٢٠٠٤ العرض الذي نشره في المجلة الأمريكية للعلوم الاجتماعية الإسلامية The American Journal of Islamic Social Sciences إذ يقول "والآن -ويقصد أي منذ عام ١٩٧٨ حتى ٢٠٠٤ -فقد ظهر الكتاب ثانية بمقدمة وعرض وحقّق من قبل المستشرق المتخصص في الدراسات القرآنية أندرو ربن Rippin مع هوامش وتعقيبات وسرد

- Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation (Oxford، 1977)
- The Sectarian Milieu: Content and Composition of Islamic Salvation History ((Oxford، 1978).
- Res Ipsa Loquitur: History and Mimesis (1078).
- Lingua Franca in the Mediterranean (Curzun Press 1996).
- Res Ipsa Loquitur: History and Mimesis (Reprint by World Scientific Publishing، 2012)).

بالمصطلحات والمفردات القرآنية وغير القرآنية؛ فقراءته في أكثر الأحوال مخيبة للآمال وقليلة الجدوى بالنسبة الى عدد من مؤرخيّ التاريخ الإسلامي البارزين اعتمادا على تشخيص (آرستيفن همفريز HumphreysR. Stephen في كتابه الموسوم [التأريخ الإسلامي Islamic History المطبوع في عام ١٩٩٩ صفحة ٨٣ - ٨٤].

مزايا وخصائص اسلوب ونزبوروغ:

المتبع في كتابه دراسات قرآنية بأنه "نزع الى أو اختار اسلوبا فخما وغير شفاف ويعج بالمصطلحات الفنية التقنية الغامضة والتي ليس لها تفسير وفي لغات عدّة، فضلا عن العديد من الإشارات غير المباشرة الغامضة، وما أطلق عليه همفريز بمصطلح Teotanic grammer ولعل المقصود في ذلك الإستعمالات النحوية المعقدة"(٩).

ويذكر هذا المعقب كارول كريستين إن المحقق أندرو ربن قد خفّف ولطف بعض من هذه الصعوبات؛ وذلك عن طريق تزويده واضافته معلومات غنية عن المخطوطات التي اعتمد عليها ونزبرو، وتزويده بتفسيرات وشروح للإقتباسات والمصطلحات تلك التي تعدّ صعبة الفهم من الكثير من قرّاء الكتاب. وكان ونزبرو مولعا في استخدامه الفيلولوجي السامي باعتباره متخصصا في هذه الدراسات Sematic Philology (١٠). ويستمر المستشرق كارول في تعقيبه على كتاب ونزبوروغ بقوله إن المنهجية والاسلوب الذي يستند الى الجانب اللغوي عمل قد تميزت فيه مدرسة الاستشراق الألماني، وهو، أي ونزبوروغ، بالفعل قد تأثر بعدد من المستشرقين الألمان نظير تيودور نولدكة، وهانز جورجن بيكر، وهانز وير، وأنتون سبتلر، وووولدترتيش فيشر.

(٩) Carool Kresten; "Qur'anic Studies: Sources and Methods of Scrpitural Interpreation: John Wansbrough " in The American Journal of Islamic Sciences Vol. 23 -1(2004) P. 119-p.

(١٠) Ibid.

Hans -Jurgen Backer، Hans Wehr، Anton Spitaler، and Wolfdietrich Ficher.

وقد كرّر مثل هذا الموقف النقدي بخصوص بنيوية كتاب ونزبوروغ الأكاديمية وصعوبة عرضه لنظريته باحثون آخرون فهذا باحث مسلم بريطاني يقدم عرضا للكتاب بعد صدوره عام ٢٠٠٤ بتحقيق المستشرق أندرو ربن وهو محمد أمين يقول مقالته المعنونة (فكرة حديثة من بريطاني مسلم Fresh thinking from a British Muslim) وقد حدّد موقفه في عنوان جانبي واصفا نظرية ونزبوروغ بالآتي " راي غير مسلم متطرف The radical non -Muslim view). فيقول ما ترجمته "إن هذا الكتاب قد ألّف من قبل أكاديمي للأكاديميين الآخرين فحسب. ولهذا السبب فإنه صعب القراءة بشكل لا يصدّق، مالم تكن متخصصا، لاسيما وإن المؤلف يتحرك بدون حدود بين لغة أكاديمية عالية المستوى في الإنجليزية واللغة العربية المكتوبة في المخطوطات، وبالعربية (أي يكتب لغة بحروف أخرى أي transliterated Arabic)، فضلا عن اللغة اللاتينية والعبرية والإغريقية والألمانية. والمؤلف كما يظهر له امكانية لغوية عالية باللغات التوراتية تلك التي يستعملها العلماء المعتادون على مناقشة النصّ التوراتي. ولهذا السبب فإنني قد وجدت الكتاب عسيراً جدا على القاريء؛ وعلى الرغم من تلك التحديات فقد صمدتُ وثابرت على قراءته رغم صعوبته. وبعيدا عن الهوامش والفهارس التي أخذت من الكتاب كثيرا من صفحاته بدءا من صفحة ١ الى صفحة ٢٤٦. ومع هذا فيعدّ الكتاب طويلا وذلك يعزى الى صعوبته"[١١]. ومن الطبيعي أن ذلك التعقيب يشير الى قارئ مسلم غير

(١١) Review of «Quranic Stu - ies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation» by John Wansbrough 7 May 2011Fresh thinking from a British Muslim: The radical non -Muslim view

متخصص في ما يهدف اليه المستشرق جون ونزبوروغ. فالكتاب بالنسبة الى المتخصص في التاريخ الإسلامي ولاسيما في مراحل عملية جمع القرآن الكريم منذ عهد رسول الله ﷺ ليس كما يعتقده الباحث محمد أمين بمثل تلك الصعوبة غير أن تعليقه يمثل زاوية فكرية مهمة في أن الكتاب كان في متناول القارئ المتخصص وغير المتخصص بالنظر الى الأهمية العلمية والفكرية والدينية التي يعكسها عنوان الكتاب (دراسات قرآنية: مصادر ومناهج تفسير وتأويل الكتاب المقدس-حسب عنوان المستشرق وهو يقصد بالكتاب المقدس القرآن الكريم -). فضلا عن محمد أمين فإن للباحث المسلم الآخر سيف الله موقفا ناقدا لنظرية المستشرق ونزبوروغ وموقفه من رأيه في القرآن، وممّا له علاقة بذلك فإن الدكتور سيف الله S. M. S. M. Saifullah في موقع على الإنترنيت بعنوان (النهضة الإسلامية Islamic Awareness) تصدى في كثير من المقلات والبحوث للأفكار والتفسيرات التبشيرية والإستشراقية باللغة الإنجليزية، فوفقه الله تعالى على متابعاته العلمية وآرائه الإسلامية الجريئة والثابتة. فهاهنا أسهم مع الدكتور إلياس كريم Elias Karim في بحث بعنوان (بيرتون وونزبوروغ ومنطق البعثات التبشيرية المسيحية Burton Wansbrough and The'Logic' of Christian Missionaries) بتاريخ ٨ حزيران ١٩٩٩. ومن بين ما ذكره الباحثان بخصوص كتاب ونزبوروغ ما يمكن ترجمته: -ونحن نشير الى ما يعتقده المبشرون في الكتاب إذ يقولون أن هنالك إشكالية في المنهج الذي اتّبعه ونزبرو. مع أن كلّ استنتاج للمستشرق كان جيدا الى درجة كافية. إن المبشرين المسيحيين الذين يميلون الى استعمال "المنطق" الذي يتحدث فيه ونزبروغ لا يركزون على منهجيته. إن المنهجية التي نهجها ونزبوروغ وبحسب كلماته هي لا تعدو أكثر من حدس conjectural وشرطية مؤقتة provisional وغير

نهائية tentative وهي التي تعبر عن رأيه الشرطي المتشدد والمتطرف[١٢] وجهة نظر الدكتور سيف الله حقيقية إذ أن ونزبوروغ قد وقف في مقدمة كتابه على ما ذهب اليه سيف الله من أن النظرية مستندة على مجرد الحدس والشرطية وبكونها آراءا غير نهائية.

كذلك هنالك باحث آخر قد كتب عرضا وتقويما للكتاب واصفا صعوبته البالغة إذ يقول في مقالته الموسومة (دراسة عالمية حديثة للقرآن: بحث غربي والقرآن Modern Scholarly Study of the Qur'an; Western Scholarly and the Qur'an) ونشر في مجلة الجمعية الشرقية لجامعة غلاسكو Glasgow University Oriental Society، Transactions xxiii، ١٩٦٩ -٧٠ (١٩٧٢). قال فيه المؤلف " ليس هنالك دراسة ذات شأن في هذا الميدان يمكن أن تمرّ من دون تعليق وتعقيب؛ إذ كتب جون ونزبوروغ كتابا بخصوص جمع القصص أو الروايات في كتابه (دراسات قرآنية Qur'anic Studies. "وهذا الكتاب هو كتاب صعب جدا للفهم، غير أنه ينبغي علينا أن نبدأ هاهنا إن كنا جديين بشأن الوصول الى الحقيقة للأخبار أو المرويات الإسلامية. وإنني لم أر إطلاقا كتابا قد كتب خلال الثلاثين سنة الماضية بإمكانها أن تضاهي مناقشة وآراء ونزبوروغ، على الرغم من أن الكثير من العلماء لا يتفقون معه في نظريته"[١٣].

وعقّب على الكتاب باحث آخر

(١٢) Burton، Wansbrough &The (Logic) Of Christian Missionaries M S M Saifullah & Elias Karim Islamic Awareness: J. Wansbrough، The Sectarian Milieu: Content and Composition of Islamic Salvation History 1978، Oxford University Press، Ps. x، xi

(١٣) Glasgow University Oriental Society، Transactions xxiii، 1969 -70 (1972) Modern Scholarly Study of the Qur'an ; Western Scholarly and the Qur'an

لاسيما بالشأن الذي نعرضه الآن وهو صعوبة الكتاب قائلا في مقالته الموسومة «رافقني في ترجمتي لكتاب جون ونزبوروغ الى اللغة الإنجليزية؛ بقلم غبرئيل رينولدز Translating John Wansbrough .... into English By Gabriel Reynolds)) وكان هذا التعقيب في ١٧ ديسمبر ٢٠١٢» في مؤتمر أكادمي عقد حديثا فيقول كنت من بين الحاضرين وخلال فترة العشاء مع مجموعة من العلماء المهتمين بالقرآن، كان الموضوع الذي كنّا نتحاور فيه حول الدراسات القرآنية وتحول الى العمل الذي أنجزه جون ونزبوروغ. وتساءل أحد المجتمعين من مجموعتنا سؤالا قائلا ((ولكن متى يصار الى ترجمة كتاب ونزبروغ الى اللغة الإنجليزية؟. وفي الواقع إن كتابة ونزبرو هي عملية صعبة بإمتياز. والحقيقة إن كلّ الذين عقّبوا على الكتاب قد عبروا خلال تعقيباتهم على أن (دراسات قرآنية Qur'anic Studies)مخيب للآمال وذلك يرجع الى الأسلوب المعقد الذي كتب فيه الكتاب والى صعوبة منهجه"[١٤].

وقد استشهد هذا الباحث بما عرضه البروفسور وليم جراهم William Graham المستشرق المعروف بدراساته الكثيرة غن الإسلام والقرآن الكريم في بحثه المنشور في مجلة الجمعية الأمريكية الشرقية Journal of the American Oriental Society إذ أشار الى ما ترجمته:- وبسبب الأهمية البالغة للكتاب، على أية حال، فمن المؤسف حقا أن هذا الجزء مرهق أو مزعج بإفراط وإنه عمل صعب بشكل لا مبرر لمثل هذه الصعوبة، فأول ملاحظة تتعلق في تركيب الجمل والإعراب syntax الذي يصعب فهمها impenetrable وكذلك ربما بالنسبة في تسلسل الأفكار وتعاقبها. فهو كتاب مشدود برباط وهو محكم

(١٤) Gabriel Reynolds ; in his r – view (Translating John Wans-brough into English)Journal of the American Oriental So-ciety 100(1980) P. 138

ويدل على ذكاء وألمعية ونفاذ بصيرة، مع إنه قد أفسد marred في كلّ مكان منه بأفكار غامضة غير عادية وأخرى استثنائية سواء كان ذلك في العرض أم في التنظيم. فمن الواضح والجليّ إن محور المسألة التي يختصّ فيها الكتاب هو محور معقد، غير أنه قد عرض هاهنا باسلوب أو بطريقة فنية أو تقنية technicalized غير ضرورية وفيها تكلّف غير ضروري وكأن المؤلف يريد بها أن يجعلها بأية حال غامضة ولا يمكن لأحد اكتشاف معانيها سوى أولئك المتخصصين العنيدين في تصميمهم أو أولي العزم منهم المتخصصين في التاريخ الإسلامي المبكر ومصادره القديمة[١٥].

المهم فإن لتعقيب المستشرق وليم غراهام William A. Graham وهو استاذ في جامعة هارفرد في الولايات المتحدة أهمية بالغة وذلك لأنه من المتخصّصين في الدراسات القرآنية وعضو في كلية اللاهيات وأستاذ في الدراسات الإسلامية؛ وتركّزت أبحاثه ودراساته حول التاريخ الديني الإسلامي المبكر ودراسة نصوص المرويات عن القرآن الكريم والحديث الشريف. وقد ألّف الكثير من الإسهامات في هذه الميادين من بينها:-

١. The Heritage of World Civilizations (Prentice Hall / Pearson; 9th rev. ed.، 2011) تراث الحضارات الإنسانية العالمية.

٢. Islamic and Comparative Religious Studies (Ashgate Publishing، 2010) دراسات إسلامية ودينية مقارنة.

٣. Three Faiths، One God (Brill، 2002) ثلاثة أديا ن وآله واحد.

4. Beyond the Written Word: Oral Aspects of Scripture in the History of Religion (Cambridge University Press، 1987، 1993 ما وراء كلمة الله الجوانب

(١٥) Ibid.

الشفاهية للكتاب المقدس في تاريخ الأديان.

٥. الكلمة الآلهية أو كلمة الله والكلمة النبوية Divine Word and Prophetic Word in Early Islam.[١٦].

وهناك عدد من المستشرقين الآخرين ممّن لم يقف على مسألة جفاف اسلوب المستشرق ونزبوروغ وعلى صعوبة المنهج الذي اتّبعه في عرض آرائه في عملية جمع القرآن الكريم ناهيك عن صعوبته اللغوية؛ ولكنهم من الجانب الآخر وقفوا على مسافة واحدة من نظريته في هذا الميدان. ومن بين هؤلاء المستشرقة الألمانية المعنية في الدراسات القرآنية البروفسورة أنجليكا نيوورث Angelika Neuwirth الأستاذ في الدراسات العربية في جامعة Freie University في برلين. فقد درست الدراسات الإسلامية والدراسات القديمة classics في جامعة غوتنغن Gottingen في ميونيخ وطهران والقدس (أورشليم). وعملت في الجامعة الأردنية بين ١٩٧٧ -٨٣). وكانت من بين الذين يعرفون لغات عديدة كالعربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والعبرية. وقد شغلت منصب مدير المركز أوالمعهد الألماني الشرقي German Orient Institute في بيروت واسطنبول من سنة ١٩٩٤ -الى سنة ٢٠٠٠. اهتمت بحوثها بالأدب العربي القديم وبضمنها الدراسات القرآنية والتفاسير الإسلامية؛ وآخر اسهاماتها دراسة بعنوان (القرآن: إستقصاء تاريخي وأدبي في محيط أو وسط القرآن The Qur'an in

(١٦) - Islamic and Comparative Religious Studies: Selected Writings. By William Albert Graham. Ashgate Contemporary Thinkers on Religion: Collected Works. Surrey and Burlington VT: Ashgate، 2010. Pp. xviii عن البروفسور وليم البرت غراهم ينظر William A. Graham، Harvard University، USA Series: Ashgate Contemporary Thinkers on Religion: Collected Works

Context: Historical and Literary Investigations into (the Milieu of the Qur'an وكان بالتعاون مع كل من المستشرقين مايكل ماركس Michael Marx ونيكولاي سيناي Nicolai Sinai وقد طبع الكتاب في سنة ٢٠٠٩.[١٧].

كذلك فقد وقف على هذا الجانب- أي عدم سلاسة كتاب ونزبوروغ وصعوبة فهمه ومتابعة المخطوطات والمصادر الأخرى العربية واللاتينية دانيال ببس Daniel Pipes وهو باحث أمريكي له موقع على شبكة الإنترنيت وله كتابات ودراسات كثيرة معنية في تاريخ الشرق الأوسط وهو في الوقت الراهن مسؤول عن ورشة العمل think tank الشؤون الجارية والدراسات الحالية تحت عنوان (منبر أو منتدى المناقشة والمناظرة Middle East Forum إذ يذكر في مقالة له بتاريخ ٩ تموز سنة ٢٠١١ تحت عنوان ((دراسة الإسلام بعد عام ١٩٦٩ وجون ونزبوروغ The study of Islam post -1969 (and John Wansbrough ما نصّ ترجمته الى اللغة العربية: -هنالك كلمة منيّ -أي الباحث د. دانيال -أن هذا الكتاب -أي دراسات قرآنية- والكتاب الآخر للمستشرق نفسه ونزبورو[غ]. أي الوسط أو المحيط الفرقي أو المذهبي: بنية ومضمون تاريخ الخلاص الإسلامي The Sectarian Milieu: Content and Composition of Islamic Salvation History(Oxford، 1978).

يقول: إنهما في الواقع من الكتب

(١٧) Qur'anic studies، classical Arabic literature، and modern Arabic literature. Neuwirth receQur'anic studies، classical Arabic literature، ;Prof. Dr. Angelika Neuwirth Published (with Michael Marx and Nicolai Sinai) The Qur'an in Context: Historical and Literary Investigations into the (Milieu of the Qur'an (2009.

الصعبة في القراءة وكذلك في الفهم. فالذي يريد أن يقوله ونزبوروغ إن القارئ ينبغي له أن يعرف اللغة العربية فضلا عن الإغريقية والعبرية والسريانية والألمانية واللاتينية؛ كذلك ينبغي لقاريء هذين الكتابين أن يكون حسن الإطلاع على أدب نقد التوراة والإنجيل؛ وعلى تاريخ الشرق الأوسط القديم فضلا عن معرفته بالمنهج التاريخي الحديث. غير أن القارئ سوف يندهش بمثل هذا العالم الكبير، إذ أنه طبّق وأخضع الأدوات المنهجية الحديثة في أدب النقد لجميع المصادر الإسلامية الأولى نظير القرآن والسيرة ومؤلفات التفسير الإسلامية[١٨].

والواقع إن قائمة الذين عقبوا على كتاب ونزبوروغ طويلة وأن العقبين على كتابه كثر لكننا نأتي على ذكر عدد منهم ممّن شدّدوا على إشكالية الصعوبة في عرض ونزبوروغ لمحتويات كتابه فضلا عن تعقيد منهجيته وعدد مصادره باللغات الأجنبية. فهذامثلا الدكتور غيرد روديجر بوين Gerd Rüdiger Puin المولود في سنة ١٩٤٠، وهوعالم ألماني ثقة وكتاباته عن الأورثوغرافيا القرآنية (في التهجئة والإملاء) التاريخية موثوق فيها، وله مساهمات بحثية في دراسة وتفسير المخطوطات القديمة. ودرس اللغة العربية في جامعة سار لاند Saarland University في ألمانيا. وقد عني عناية فائقة بمخطوطة من القرآن الكريم في اليمن وتتألف من ستة عشر ألف ورقة من ورق الرق. فكتب بحثا باللغة الألمانية بعنوان Gerd R –Puin. Neue Wege der Koranforschung: II. Über die Bedeutung der ältesten Koranfragmente aus Sanaa (Jemen) für die Orthographiegeschichte

(١٨) Daniel Pipes: The study of Islam post –1969 and John Wansbrough.
Reader comment on item: Middle East Studies in Up-heaval

des Korans، Universität des Saarlandes Magazin Forsc-hung، 1 (1999)، 37-40.

وهو يبحث عن أقدم مخطوطة للقرآن الكريم وجدت في اليمن قادته الى أن يعرّج على ذكر كتاب ونزبروغ قائلا في البحث الذي عنوانه (هل رفض كلّ من المذهب الإسلامي والمذهب المسيحي مذهب الثالوث) فيشير في أحد استنتاجاته الى أنه على الرغم ممّا ذكره ونزبروغ فإن هنالك مرويات شفاهية، ولولا ذلك لما كان المسلمون يستطيعون قراءة النصّ القرآني. فيعتقد جيرد بوين Puin أن ما عثر عليه من مخطوطة صنعاء توفر الدليل على صحة موقف ونزبوروغ واستنتاجه بشأن النصّ القرآني[١٩].

(١٩) Gerd R -Puin. Neue Wege der Koranforschung: II. Über die Bedeutung der ältesten Koranfragmente aus Sanaa (Jemen) für die Orthogra-phiegeschichte des Korans، Universität des Saarlandes Magazin Forschung، 1 (1999)، 37 -40. Would the Earli-est Quranic Manuscripts of Sana'a Spell the Downfall of Islam?. Sunday، 28 June 2009 .12: 56

من هذا كلّه وغيره من أقوال الباحثين والعلماء وممّن أثارته المسائل المهمة جدا من القرّاء قد عبروا عن المصاعب التي واجهوها خلال قراءتهم كتاب ونزبورغ (دراسات قرآنية) فكانت نتيجة هذه المواقف أن انقسموا بين مؤيد لنظريته في عملية جمع القرآن الكريم وبين معارض لها. ولهذا يجدر بنّا قبل مغادرة هذه النقطة أن نعرج على تحليل تلميذ المستشرق ونزبورغ وهو المستشرق الكندي أندرو ربن Rippin الذي تحمّس كثيرا الى محاولة إعادة تحقيق الكتاب من أجل معالجة قلة انتشار كتاب استاذه بسبب قلة قراءه، فالنسخ التي طبعت فيه الطبعة الأولى كانت صغيرة وقليلة لعدم تشوّق القرّاء وعدم لهفتهم في قراءته مع أن المستشرق قد أكمل مسودته في تموز من عام ١٩٧٢ وقدمه للطبع في طبعته الأول في تموز

بعد ثلاثة أعوام؛ وطبع بشكله النهائي في ١٩٧٥م. وظل كذلك الى أن نهد البروفسور أندرو ربن في تحقيقه سائلا التوجه الى حلّ مسألة الصعوبة اللغوية والتعقيد في عرضه النظرية واعتماده على المصطلحات الفنية والتاريخية باللغات الأجنبية العربية والعبرية واللاتينية والإغريقية؛ فقام بعمل مجهد مضاف لكتاب أستاذه الذي كان يقع في طبعته الأولى في مائتين وسبع وخمسين صفحة دقيقة الكلمات الى أن أصبح بفضل الهوامش التوضيحية والتعقيبات التي حقّقها المستشرق المعروف في دراساته الكثيرة عن القرآن الكريم أندرو ربن الى أن بلغت صفحاته الى ثلاثمائة وستين (٣٦٠) صفحة، فضلا عن تقديمه للكتاب بمقدمة Forward تتألف من عشر صفحات جديرة بالقراءة لما تحتويه من أفكار رديفة بمحتوى الكتاب. ومما يجدر التنويه اليه هاهنا إن البروفسور ربن قد عرّج على مسألة مصاعب قراءة الكتاب اللغوية والعلمية ومسألة الإحالات المصدرية من اللغات الأجنبية؛ والواقع فإن ربن قد جمعته وأستاذه عدة لقاءات وأشار على أستاذه هذه الإشكالية. ففي مقدمته وعلى صفحةXIII من المقدمة ذكر ربن الآتي بعد ترجمته من اللغة الإنجليزية:- ليس من الغرابة بمكان إن أيا من قرّاء الكتاب قد تمتع بما اعتاد عليه أن يقرأ في اللغة الإنجليزية وثرائها وغناها اللغوي ومعجمها في المفردات والتعابير وبكونها تعكس قيّمة التراث اللغوي القديم Classical Heritage الإنجليزي؛ وممّا يحتمل أن استخدام ونزبورغ اللغة قد كان سببا رئيسا في جعل الكتاب صعبا. وعطفا على هذه النقطة فقد صار عليّ في عملية تحقيق الكتاب أن أتطفل أو أتدخل عنوة في سردي الشخصي. ففي أحد اللقاءات مع ونزبروغ حسبما أتذكر قد تحول النقاش الى كتابه (دراسات قرآنية) وحسبما أتذكر جيدا إنني ذكرت له بأن القراء أو الناس قد وجدوا فيه صعوبة في متابعة قراءته!. فنظر اليّ نظرة معبرة expressive ومحيّرة

puzzlemenent وهي تعكس مدى استيائه بله غضبه معقبا، وما المشكلة في ذلك أي في كونه صعب القراءة والفهم، ألم تذكر خلال المناقشة الكاتب والشاعر والأديب الإنجليزي لوري Lowry فقد كان هو الآخر صعباً في عرضه اللغوي!. إذن ليس هنالك من شكّ بأن الدراسات القرآنية بحاجة ماسّة الى قراءة ودراسة دقيقة ونابهة شأنه شأن أي كتاب أو عمل بحثي آخر مثير stimulating. وواقعا فالكتاب لم يكن معدّا في الأصل لقراءة خفيفة وبسيطة light، فضلا عن كونه تلميحياً وغير مباشر allusive في بعض تضميناته وإحالاته التوراتية ووقوفه على الخلفية التاريخية العربية والإسلامية. وهذه الحالة هي التي أدت به الى أن يكون معدّا للنقاش والجدل وعلى مائدة النقاش والعرض المستمر بين العلماء والباحثين من على صفحات المجلات العلمية والتخصصية وبشكل أخصّ بشأن نظرية ونزبروغ التي تفيد بأن القرآن الكريم قد جمع لأول مرة في القرن الثالث الهجري وفي أيام العباسيين لا بحسب الكتابات التاريخية في عهد الرسولﷺ؛ ولهذا السبب لم تنتشر طبعته. وهو أمر سيء الطالع بالنسبة ليّ وبالنسبة لعملٍ بحثيّ مثير ورائع مثل هذا. وأعتقد إن ونزبروغ نفسه قد يتحسر على مثل هذه الحقيقة bemoaned. لذلك كلّه فقد نهدت في عملي هذا -والكلام للبروفسور أندرو ربن -على الإضافات والهوامش والتعليقات من أجل أن أجعل الكتاب مقروءا بشكل أوسع وأن يكون انتشاره بين القرّاء واسعا أيضا[٢٠].

تبويب لآراء المستشرق ونزبوروغ:

حظيت آراؤه، كما يصفها عدد من المستشرقون بما له علاقة في هيكليتها بمثابة نظرية، إن كانوا من مدرسة ونزبوروغ نظير أندرو ربن Rippin ومايكل كوك M. Cook وجيرالد هاوتنغ Gerald R. Hawting، أو من قبل غيرهم من المستشرقين من

(٢٠) Andrew، Rippin; Qur'anic Studies (Forward. Pp.

الجيل المعاصر الآخرين الذين جاءو بعده أومن المبشرين الذين يدعمون الأفكار والرؤى والتفسيرات المعارضة للإسلام والقرآن الكريم ولرسول الله ﷺ، بمكانة واسعة في المناظرة والمحاججة والعرض والتقويم على صفحات المجلات الأوربية والأمريكية وغيرها وكما هو لحالة في أي نظرية أو رأي فقد انقسمت هذه الآراء والمواقف بين مؤيد وداعم أو حتى مضيف على آرائه واستنتاجاته المتطرفة بالنسبة للإسلام والقرآن وبين ناقد وغير متفق مع تلك المواقف والآراء كالذي استشهّدنا به في الصفحات أعلاه. ولاسيما بعد أن قام المستشرق المعاصر أندرو ربن Rippin بتحقيق الكتاب أو بالأحرى بتبسيط لغته وتبيان حجج ونزبروغ بشكل أساس وجعل أفكاره قابلة للقراءة والمتابعة من القرّاء الذين وجدوا في طبعة كتابه الأولى مشقة في فهم المقصود منه لصعوبة لغته؛ إذ أغنى أندرو التحقيق بإدخال ما اصطلح عليه بتعبير annotations (أي هوامش والحقيقة إنها هوامش قيّمة وتستحق القراءة، كذلك أدخل على الكتاب اضافات في المعلومات العامة والمعلومات المصدرية بوجه الخصوص التي أفلح المستشرق أندرو أن يتابع الدراسات والبحوث والكتب المحقّقة التي صدرت بعد صدور كتاب ونزبوروغ في طبعته الأولى ١٩٧٧م) وقد شغلت هذه الهوامش بمجموعها الكليّ أكثر من خمسين صفحة أي من صفحة ٢٥٧ الى صفحة ٣٠٨ وأعقب ذلك بمسرد للكلمات العسيرة والصعبة مع شرح لها فتوسع الكتاب الى صفحة ٣١٦. بضمنها إضافته لعدد من المخطوطات والمصادر التي لم يأت على ذكرها ونزبوروغ في قائمة مصادره.

في الواقع فإن بعض الباحثين حينما يشيرون الى إنتاج المستشرق ونزبوروغ يشيرون الى أن كتابه يقع في جزئين غير أن الأمر ليس كذلك فهو في جزء واحد يقع في مائتين وأحدى وخمسين صفحة بضمنها صفحات الفهرست وصفحات المصطلحات الفنية؛

والمستشرق اكتفى بذكر استهلال فقط من دون مقدمة قائلا بعد ثلاثة أسطر من الاستهلال ما يمكننا ترجمته: -في مناقشة قضية أو حالة بشأن القرآن ككتاب مقدس فلعل ذلك يبدو مسألة لا مبرر لها gratuitous. وفي حالة النقاش في مسألة تدوين الوحي الإسلامي فإن هذا الكتاب ليس بحاجة الى مقدمة[٢١]. فهو يشير هاهنا الى كتاب واحد ذلك الذي نخضعه للدراسة والتقويم الآن وهو (دراسات قرآنية: -مصادر وطرق تفسير الكتاب المقدس Sources and Methods (of Scriptural Interpretation وبالطبعة التي حقّقها المستشرق الكندي أندرو ربن وطبعها في سنة ٢٠٠٤م. غير أن الأفكار التي طرحها المستشرق في كتابه قد أردفها أيضا في كتاب آخر ظهرت طبعته بعد عام واحد من طبعه لكتاب الدراسات القرآنية أول مرة أي في عام ١٩٧٨ وفي نفس المطبعة أي مطبعة جامعة أوكسفور Oxford University Press. وهو الكتاب المهم الآخر الموسوم (البيئة أوالوسط الفرقي أو الطائفي: البنية والمضمون The Sectarian Milieu: Content and Composition of Islamic (Salvation History. فالمستشرق ونزبوروغ قد أفلح -كما يصرح بهذا أحد المقومين للكتاب أن يذهب بعيدا أكثر من الإستنتاجات التي سجّلها المستشرق إغناص جولدتسيهر المستشرق اليهودي المجري والمستشرق جوزيف شاخت المستشرق الألماني he was able to go beyond the conclusions by both؛ وهو كما لمّح المستشرق هربرت بيرج Herbert Bergقد فصل في الكتاب بين القرآن من جهة وبين السيرة النبوية من جهة أخرى وبينهما وبين شخصية محمد من جهة ثالثة وبين هذه العناصر الثلاثة وبين المكان الجغرافي الجزيرة العربية من الجهة الرابعة؛ ووضع أصول الإسلام في المكان الصحيح لها ألا

(٢١) Ibid. (Forward) P. XXI

وهو بلاد ما بين النهرين العراق) أبان حكم العباسيين الأوائل Goldziher and Jospeh Schacht and in the words of Herbert Berg: he severed both the koran and the sira from the figure muhammad and even from arabia and placed the origin of islam where it belongs and that is in Mesopotamia during the time of the early Abbassids.[٢٢] ومن الطبيعي

(٢٢) Herbert، Berg (From Wik – pedia).

وقد ألّف الكثير من المؤلفات وهي كالآتي:-

- Elijah Muhammad and Islam. NYU Press، 2009.
- with Sarah Rollens. "The Historical Muhammad and the Historical Jesus: A Comparison of Scholarly Reinventions and Reinterpretations." Studies in Religion / Sciences Religieuses، 32. 2 (2008): 271–292.
- Early African American" Muslim Movements and the Qur'an." Journal of Qur'anic Studies، 8. 1 (2006): 22–37.
- Context: Muhammad." Blackwell Companion to the Qur'ān، edited by Andrew Rippin، 187–204. Blackwell، 2006.
- Mythmaking in the African" American Muslim Context: The Moorish Science Temple، the Nation of Islam، and the Muslim Society of America. "Journal of the American Academy of Religion، 73. 3 (2005): 685–703.
- Ibn `Abbās in `Abbāsid –Era" Tafsīr.» Abbasid Studies: Occasional Papers of the School of Abbasid Studies، Cambridge 6 –10 July 2002، edited by James E. Montgomery، 129–146. Peeters، 2004.
- Competing Paradigms in" the Study of Islamic Origins: Qur'ān 15: 89 –91 and the Value of Isnāds.» Methods and Theories in the Study of Islamic Origins، edited by Herbert Berg، 259 –290. Brill،

فبالإمكان أن ندلو بدلونا هاهنا إذ أن المستشرق في هذه العملية من حالة عزل هذه المترابطات الذاتية بين رسول الله ﷺ وبين حياته وسيرته بين أهله وعشيرته وآل بيته الأطهار وبين نزول الوحي عليه من الله العلي القدير بواسطة الملك جبرئيل في منطقة غار حراء أو عندما كان يرعى الأغنام مع ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام كلّها كانت نسيجا جامعا واحدا لا يمكن للمستشرق ونزبروغ تفريقه وعزله إلا في حالة واحدة والتي كرّر استعمالها المستشرق ذاته بفرضه التلاعب الفني في التخمين والحدس والإفتراض؟!. وإلّا كيف يمكننا الفصل بين المرء

Study of Religion 9. 1 (1997): 3 –22. Reprinted in The Quest for the Historical Muhammad، edited by Ibn Warraq، 489 –509. Prometheus Books، 2000.

- Tabarī's Exegesis of the" Qur'ānic Term al -kitāb.» Journal of the American Academy of Religion 63. 4 (1995): 761 –774.

2003.

- Weaknesses in the Arguments" for the Early Dating of tafsīr.» With Reverence for the Word: Medieval Scriptural Exegesis in Judaism، Christianity، and Islam، edited by Jane Dammen McAuliffe، Barry D. Walfish، and Joseph W. Goering، 329 –345. Oxford University Press، 2003.
- The Development of Exegesis in Early Islam: The Debate over the Authenticity of Muslim Literature from the Formative Period. Routledge / Curzon، 2000.
- Elijah Muhammad and the" Qur'ān: The Evolution of His Tafsīr.» Muslim World 89 (1999): 42 –55.
- Elijah Muhammad: An Afr –" can American Muslim mufassir?" Arabica: Revue d'études Arabes 45 (1998): 320 –46.
- The Implications of، and O –" position to، the Methods and Theories of John Wansbrough. " Method & Theory in the

وعقيدته وبيئته وهو مفهوم قدعبّر عنه المستشرق الألماني شبنجلر في كتابه المعروف محمد وعقيدته؟؟. وعلى أية حال فإنهما عملان كان المستشرق ونزبوروغ قد نهد في صناعتهما وتأليفهما وفي جمع مادتهما منذ نهاية عام ١٩٧٢ كما يذكر البروفسور كارلوس أندريا سيجوفيا Carlos Andrés Segovia المستشرق الإسباني المولود في بريطانيا –لندن –في ٢٢مايس من سنة ١٩٤٠ وهو فيلسوف ومؤرخ في ميدان اليهودية والمسيحية المبكرة وتكوين أو تشكيل الإسلام في بحثه الموسوم (جون ونزبوروغ وإشكالية الأصول الإسلامية في البحث العلمي الحديث: وداعا للرواية التقليدية أو للرواية الحديثية John Wansbrough and the Problem of Islamic Origins in Recent Scholarship: A Farewell to the traditional Account)[٢٣]. إذ يصف العملين بإنهما دراستان ممتازتان وتعدّان من الدراسات التي تتضمن أفكارا مستجدة groundbreaking studies. ولهذا دأب البعض على أن يجعل عمل المستشرق يقع في جزئين؛ فالوسط الفِرَقي أو المذهبي هو دراسة مخصّصة عن علم التاريخ الإسلامي وبالذات عن وسطه الفرقي، بينما كان في الدراسات القرآنية قد عنونه بعنوان واضح "القرآن" كوثيقة قابلة للنقاش والجدال وإقامة البرهان حوله باستعمال الوسائل والأدوات الفنية المعتمدة في النقد المتميز للكتب

(٢٣) Carlos Andrés Segovia John Wansbrough and the Problem of Islamic Origins in Recent Scholarship: A Farewell to the Traditional Account. "/ In: The Coming of the Comforter: When، Where، and to Whom? Studies on the Rise of Islam and Various Other Topics in Memory of John Wansbrough (2012 Segovia / Lourié)، edited volume، xix –xviii.

المقدسة أو بما أطلق عليها المستشرق نفسه خلال الأسطر الأولى لإستهلاله الكتاب بالنقد التوراتي Biblical criticism وهي مواضيع وصفها المستشرق سيجوفيا بأنها مواضيع جديدة تماما بل ومثيرة واستفزازية provocative في حقل realm الدراسات القرآنية[٢٤]. وللمستشرق كارلوس سيجوفيا دراسة عن القرآن الكريم باللغة الإسبانية بعنوان (الفكرة الرئيسة في الوجود في الإسلام The Qur'an: AThematic Antology. المطبوع في مدريد في سنة ٢٠٠٧).

تناول ونزبوروغ في كتابه الدراسات القرآنية الذي سيدور حوله هذا العرض والنقاش في هذا البحث عدّة مواضيع لا موضوع واحد وهو القرآن الكريم، وأحسب أن المستشرق قد ركّز على وجهة نظره في المؤلفات التفسيرية الإسلامية بشكل مسهب فهو قد خصّص الفصل الرابع حول هذا المسألة بعنوان للفصل هو (قواعد أو مذاهب أو أصول مؤلفات التفسير Principles of exegesis) الذي شغل صفحات كثيرة من صفحة ١١٩ الى صفحة ٢٤٦ وهي الصفحة التي تمثل نهاية الكتاب. فالكتاب إذن يقع في أربعة فصول:- في الفصل الأول الذي شغل أكثر من خمسين صفحة يحمل عنوانا هو (Revelation and Canon وتترجم كلمة canon الى مجموعة الآيات المعترف فيها على إنها تمثل الكتاب المقدس –وهي تمثل اقتباس المستشرق تعبيراته من التوراة أو تمثل عدم اعترافه بكون القرآن الكريم كاملا أمّا الكلمة الأخرى فترجمتها الوحي وبهذا يكون العنوان الشامل الوحي و الكتاب المقدس)؛ ويتضمن هذا الفصل مبحثين أولهما عنوانه الوثيقة The document. ففي رأيه إن القرآن الكريم الذي دأب على تسميته بالكتاب المقدس scripture يعتمد على مجموعة من المصادر من الآيقونات أو من التخيلات التوحيدية التقليدية، تلك التي يمكن وصفها كمخططات أو

(٢٤) Ibid. P. XII

أنظمة من الوحي، وفي أساسها إن هي إلّا في أصلها مواد لقصص قد اختصرت بشكل ثابت الى سلسلة من الكلام الشفاهي من الحكايات أو المقاطع غير المترابطة بمثل ما ورد في قصة يوسف، وهي السورة التي دائما تذكر بكونها قصة متكاملة. فالمبحث يدور على هذه الفرضية التي جهّزها المستشرق في ذهنه للتعريف بالقرآن الكريم كوثيقة. فالقرآن الكريم قد كتب- بحسب قوله written أي إنه مبدئيا الغى كون القرآن الكريم من عند الله العزيز -باسلوب مختلف عن الأساليب النحوية والقصصية المكرّرة. وكذلك تعرّض الى سورة إبراهيم عليه السلام على وفق ذات المنظور.

أمّا المبحث الثاني لهذا الفصل المتعلق بمحتوى واسلوب الآيات القرآنية فهو الذي أعطى له عنوانا مثيرا واستفزازيا (تصنيفه أو تأليفه Its composition) هنا يتحدث المستشرق عن التماثل بينه وبين الكتب المقدسة اليهودية والمسيحية. وكان مدركا القول بأن المسلمين يرون أن القرآن الكريم قد أكمل وأتمّ جميع الوحي السابق. لقد رفض المستشرق ونزبوروع الرأي التقليدي السائد من كون القرآن قد أنزله الله تعالى عن طريق الوحي على مراحل ورفض أيضا الرأي الذي يقول بوضوح ومعرفة الكرونولوجية التاريخية لفترات الوحي أو وضوح تحديد التواريخ الدقيقة للأحداث التاريخية التي تضمنها القرآن. وهو في هذا المبحث على سبيل المثال لا الحصر قد استخدم العديد من الصفحات محللا حادثة مثول جعفر بن أبي طالب أمام حاكم الحبشة عندما بعثت قريش وفدها لضمان حماية إرجاع المهاجرين ثانية الى مكة. وناقش عدداً من المرويات المختلفة لهذه القصة في المخطوطات فتوصل الى إستنتاج مفاده إن ما قيل بشأن تاريخانية الوحي في سورة مريم لا يمكن الاعتماد عليها ولا يمكن الوثوق فيها.

وتتجلى بوضوح في هذا المبحث اعتماد المستشرق على آراء المستشرقين

القدامى الذين وقفوا في ما توصلت اليه رؤيتهم هذه ضدا من الروايات الحديثية من أمثال إغناص جولد تسيهر Goldzher وجوزيف شاخت Schacht وعلى تحقيق المستشرق الألماني شاوللي Schwally الذي حقّق الجزء الثاني من كتاب نولدكة Noldeke في كتابه (تاريخ القرآن) الذي رفض صدقية وموثوقية مروايات البخاري والمؤلفات التفسيرية الأخرى.

وفي هذا المبحث يعرض أفكاره التي تكرّرت عند تلامذته من أمثال المستشرق اليهودي مايكل Cook كوك والمستشرقة الدانماركية باتريشيا كرونه Patricia Crone وآخرين من أن القران الكريم هو من أنتاج العصر العباسي ولم يكن قد جمع في عهد الجمع الأول زمن خلافة أبي بكر ولا في عهد الجمع الثاني زمن عثمان. وإن جمعه الصحيح كان في نهاية القرن الثاني للهجرة لا قبل ذلك. وقد وقف على جمع المصحف في عهد الخليفة الثالث واعتماده على مصحف زوجة رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب بصورة مختصرة[٢٥].

وفي الفصل الآخر الموسوم بعلامات أو دلائل النبوة يبدأ بطرح وجهة نظره مستندا أيضا الى مؤثره التوراتي في أن شخصية النبي موسى عليه السلام في الأسفار الستة الأولى من التوراة Hexateuch كانت نتاجا أدبيا محكما ومتقنا وهي وثيقة الصلة ومشابهة لوصف محمد؛ ولكن على مغايرة ممّا ورد في الأسفار الستة الأولى من التوراة التي تعدّ مصدرا في استنتاج هيكلية الصورة التاريخية لموسى الى حدّ ما، على عكس القرآن فإن دوره في وصف النبي العربي كان وصفا سطحيا peripheral، فهنالك بيّنة على إتصال إلآهي غير أنه لا توجد رواية عن تفصيل ظروفها وحالتها. وحسب رأيه -وهو يستعمل تعبير(كما يبدو ليّ) it seems to me -إن القيمة الأساسية التاريخية للكتاب المقدس تكمن -كما

(٢٥) See Wanesbrough edited by Andrew Rippin; Qur'anic Studies (2004) Pp. 46 -56.

يبدو ليّ أي كما يبدو للمستشرق -ليس باعتباره مصدرا لحياة محمد وسيرته، ولكن باعتباره مصدرا للمفهوم الذي طبق في نهاية المطاف للتصنيف وللتأليف الإسلامي الفقهي حول النبوة؛ وهي مسألة سوف نناقشها بعناية بعدئذ. فالقرآن لا يقدّم إلّا القليل جدا من المعلومات عن حياة محمد وسيرته. والمستشرق في عدة صفحات يحلل ما كتبه مؤرخو السيرة عن الرسول ويركّز على التأثير المسيحي، ويوجه نقدا الى ما كتبه ابن إسحق وابن هشام في السيرة النبوية.

أمّا الفصلان الثالث والرابع فهما يمثلان اهتمام المستشرق في الجوانب اللغوية فقد أطلق على الفصل الثالث عنوانا هو (أصول العربية القديمة. (Origins of classical Arabic عبّر عن رؤيته بشأن الطريقة التي تطورت فيها اللغة العربية. والرابع يهتم بشكل مفصل بمؤلفات التفسير الإسلامي فعنونه (مذاهب أو قواعد التفسير الإسلامي). وقد تعقب في هذا الفصل التطور التاريخي الكرونولوجي للتفاسير لما قبل تفسير الطبري وذلك من أجل البرهنة على أن أدب التفاسير الإسلامي إن هو إلّا انعكاس لاحتياجات المجتمع الإسلامي الذي- أنتج بحسب رأيه -المراتب التفسيرية الآتية متأثرا أيضا بالمصطلحات التوراتية وحسب كلمات المستشرق ونزبوروغ فإن أدب التفسيرات الإسلامية كان تلبية لإحتياجات نشوء وإنبثاق المجتمع الإسلامي. ولذلك فقد أنتج ما أصطلح عليه التبولوجيا typology (وهو تعبير لعله أراد به دراسة رموز الكتاب المقدس) التفسيرية كما هو في التصنيفات الآتية:-

١. تفسير ما أطلق عليه (Haggadic) وقد تتبعت أصول هذا التعبير في القواميس الإنجليزية -إنجليزية فوجدت هذا التعبير من الاسم العبري haggadah (وجمعها هاجادوث haggadoth وفي العبرية أيضا haggadhah التي تقارب الكلمة العربية حكاية،

وهي في اللغة العبرية تعني الجزء الإسطوري من التلمود. وبحسب قاموس ويبستر Webster's Seventh New Ccollegiate Dictionary المطبوع عام ١٩١٦ صفحة ٣٧٤ يعني مجموعة معينة من المعارف والتقاليد اليهودية التي تكوّن بشكل أساسي الجزء المفقود من التلمود. فالمصطلح ها هنا يتعلق بصورة خاصة بالجزء المفقود من التلمود ومن العسير على المستشرق تطبيقه على أي من التفاسير الإسلامية؛ فضلا عن هذا فإن المستشرق مع كل الأسف بنى حيثياته ومراحله التاريخية على إنموذج واحد هوتفسير مقاتل بن سليمان والطبري، وبالنسبة الى الأخير فإنه قد استثمر في تفسيره إسرائيليات ابن عباس. وأن هذا الرأي لا ينطبق تماما على التفاسير الشيعية فلم يطّلع على أقدم التفاسير الشيعية بدءا من تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي وعلي ابن إبراهيم القمي ومرورا بتفاسير العيّاشي والنعماني وأبي جعفر الطوسي وأبي علي الفضل الطبرسي وإنتهاءا بتفسير محمد بن المرتضى (محسن الفيض) والطباطبائي في الميزان. فلو أن المستشرق راجع منهجية المؤلفات التفسيرية الشيعية لغير رأيه ووجهة نظره في اختيار المصطلح الذي قصد به القصة أوالحكاية أو الرواية.

٢. تفسير أطلق عليه (Halakhic) أي كما عبّر عنه المستشرق هربرت بيرج Herbert Berg في بحثه عن المستشرق ونزبورغ بالتفسير الشرعي[٢٦]. وقد تتبعت أصل هذا

(٢٦) - Herbert Berg " The implic tion of and the opposition to، the Methods and Theories of John Wansbrough and the study of Early Islam (Berlin-New York Mouton de Gruyr-er، 1997. P. 4. ; Ismail AlbAl-bayrak: Qur'anic Narrative and Isra'iliyyat in Western Scholarship and CLASSICAL EXEGESIS (Ph. D. University of Leeds، May 2000. Pp. 60 -65.

المصطلح فوجدته مأخوذا أيضا من التوراة فتعبير هلاكه halakah (والجمع هلكوث halakoth أوهلكس halakahs تعبيرعبري وهو في اللغة العبرية هلخاه halakhah ويقصد به حرفيا (الطريق أو السبيل) way. وهو مجموعة من الشرائع أو القانون اليهودي ملحقة بقانون أو شريعة الكتاب المقدس أو التوراة وهذا يشكل بخاصة الجزء أو القسم الخاص من التلمود بما يعرف باللغة العبرية هلاكك Halakic. وهنا نجد أيضا أن المستشرق فرض فرضية تخمينية بما موجود في تفسير ابن عباس ومقاتل والطبري وهي تفاسير لا تمثل محتوى ومنهجية جميع التفاسير الإسلامية وبالأخص كتب التفسير الشيعية.

٣. التفسير الذي سمّاه (Masoretic). وهنا أيضا تابعت أصل التعبير في القواميس فورد في القاموس ماسورا Masora ومسوره Masorah وتعرف أيضا في اللغة العبرية ميسوره mesorah أو ماسوريث masoreth ويقصد بالتعبير هذا الرواية tradition أو ميثاق أو التزام bond. وهنا في مفهوم المستشرق تعني مجموعة الملاحظات على الروايات النصّية للتوراة العبرية القديمة Hebrew Old Testament التي صنّفها الكتّاب أو المؤلفون في الفترة بين القرن السادس والعاشر الميلادي[٢٧]. وقد اشتق من التعبير هذا الكلمة العبرية مسوريت أو مسّوريت masorete، massorete أي أحد الكتّاب أو أحد المؤلفين الذين كتبوا المسوررة Masorah. وهنا أيضا يبدو التأثير اليهودي التوراتي بيّنا على المستشرق الذي لم يأت كما كرّر المستشرقون من تلامذته أو ممّن تأثر برأيه وعدّه بمثابة النظرية نظرية جون ونزبورغ.

(٢٧) Webster's Seventh New Co – legiate Dictionary. P. 520.

٤. التفسير الذي سمّاه (Rhetoric). وهذه الكلمة لاتينية وقد استخدمها ابن النديم في فهرسته بكونها يونانية وعرّف الريتريكا بالخطابة، وكذا هو الحال في القواميس فأصلها الإغريقي من رهتوريكه، rhetorica rhetorike ويقصد فيه فن الخطابة oratory. والمستشرق بالفعل يركّز على جوانب لغوية في هذا الباب من صفحة ٢٢٧ من كتابه دراسات قرآنية الى صفحة ٢٤٦ وهي آخر صفحة من الكتاب، فتناول مسائل الإيجاز والإختصار والحذف وذلك لطلب التقصير في الكلام عند العرب. وقد دمج بين هذا الصنف من تصنيفاته السابقة وبين الصنف الأخير الذي يحمل عنوان allegoric والتعبير هذا كذلك كلمة إغريقية الأصل التي يقصد بها نوع من التعبيرباستعمال الرموز أو باستخدام الدلائل والعلامات[٢٨].

٥. التفسير الذي أطلق عليه (Allegoric). وعلى أية حال فإن المستشرق في هذين التعبيرين دأب على إبراز الأثر التوراتي اليهودي على لغة العرب الخطابية.

وقبل أن نغادر مسألة هذه التصنيفات المفروضة فرضا من قبل المستشرق على مؤلفات التفسير الإسلامية هناك ثمّة أمور لابدّ من طرحها. فقراءة الفصل الخاص بقواعد أوبمذاهب التفسير الإسلامي لا نجد مسوغا أصلا في الموضوع وذلك لأن المستشرق لم يكن متابعا لجميع المؤلفات التفسيرية أنّما اقتصر في تبيان هذه التصنيفات على تفاسير لا تتجاوز عدد الأصابع؛ فضلا عن كونها لا تمثل إلّا جانبا مذهبيا واحدا من المذاهب الإسلامية وهو بالتأكيد

(٢٨) Interpretation (Translated by Andrew Rippin(2004) Pp. 227–246. John Wansbrough: Quranic Studies Sources and Methods of Scripture Interpretation (Translated John Translated by Andrew Rippin(2004) Pp. 227–246.

قدأهمل التفاسير الشيعية التي تنهج اسلوبا مغايرا ومنهجية مغايرة لأسلوب الطبري ومنهجه. فالمستشرق ونزبوروغ على الرغم من علوّ كعبه في الدراسات السامية وفي فرضيته التي تحولت الى نظرية عند المستشرقين وبحسب استنتاج المستشرق البريطاني المولد الإسباني الأصل البروفسور كارلوس أندريا سيجوفيا Carlos Andrés Segovia في بحثه السابق باللغة الإنجليزية الذي عنوانه ((جون ونزبورغ وإشكالية أصول الإسلام في البحث العلمي الحديث والمعاصر: وداعا للرواية التقليدية أو للرواية الحديثية))، فإنه في هذا الميدان وميادين أخرى قد أهمل -شانه شأن المستشرقين الكبيرين اللذين تأثر بدراساتهما كثيرا في كتابه هذا وهما المستشرق إغناص جولدتسيهر الذي كتب باللغة الألمانية والمستشرق الألماني جوزيف شاخت- المؤلفات الشيعية التاريخية منها والرجالية والتفسيرية وحدّدوا آراءهم وتفسيراتهم على المدونات السنيّة كالبخاري وابن حزم الظاهري ومحمد بن جرير الطبري في تفسيره وتاريخه وجعلوا هذه المصادر المصدر الأساس لمعلوماتهما في تفسير أصول الإسلام والتفسير الإسلامي بله الحضارة الإسلامية كحالة البروفسور شاخت وأصول الفقه الإسلامي. فكان على المستشرق ونزبورغ أن يطّلع على خطب ووصايا وكلام الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة بما له علاقة بالقرآن الكريم، ولعل المستشرق سوف يتقاطع معي في هذا الرأي لأنه ربما ممّن يعتقد مسبقا بأن الكلام عن نهج البلاغة غير مسوغ به هنا لأن الكتاب منسوب الى الإمام علي وهي وجهة نظر طالما يتمسك بها الكثير من المستشرقين وهم يقلدون ويكرّرون أقوال بعضهم البعض الآخر من المستشرقين القدامى من دون الرجوع الى ما جادل فيه ابن أبي الحديد المعتزلي شارح النهج نفسه في الشرح بأن النهج هو للإمام عليّ عليه السلام خالصا وليس من تأليف الشريف الرضي. وعلى أية حال، فإن المستشرق

عليه أن يبحث في نهج البلاغة ليكون قريبا من أقوال الإمام بشأن القرآن الكريم ولا يكتفي ببناء آراء قد تشوّه مقاصده في كتابيه (دراسات قرآنية) وكتابه (البيئة أو الوسط الطائفي أو الفرقي في الإسلام) ومنهجه العقلاني الذي امتدحه المستشرقون. فخطب الإمام تعدّ مصدرا أساسيا له ولغيره من المستشرقين وغيرهم من العلماء العرب والمسلمين، ولماذا؟؟. لأنها أقوال وخطب وعلوم قد عاصرت لبّ الأحداث التاريخية والعقيدية الإسلامية زمن رسول الله ﷺ والعقود الأربع الأولى من التاريخ الإسلامي. وقد تكرّر الاعتماد عليها في أحاديث وأقوال الأئمة الأطهار عليهم السلام في فترات سبقت كثيرا المفصل التاريخي الذي جعله المستشرق حدّا محددا لجمع القرآن الكريم أي إن القرآن الذي بين أيدينا الآن إنّما جمع أوصنف في نهاية القرن الثاني للهجرة/ الثامن الميلادي وفي عصر العباسيين وتلك الأحاديث ذات السلاسل الذهبية التي تعود الى الوراء حتى تبلغ الحلقة الأساسية وهي حلقة رسول الله والإمام عليّ؛ فضلا عن كونها قد ورد أكثرها بحسب نصّها في كتب العلماء والنحاة وعلماء البلاغة كالجاحظ المتوفى في سنة ٢٥٥هجرية/ ٨٦٤م.

ومن المعروف تاريخياً أن العلماء المسلمين هم كذلك وقفوا على هذا الموضوع في اختلاف المصاحف فصنفوا كتباً قد وردت عناوينها من دون أن تصلنا بعضها كاملة. لكن المهم جداً إن موضوع اختلاف المصاحف واختلاف القراءات كان عملاً قد أثار اهتمام وعناية العلماء المسلمين منذ أوائل القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد أي أبّان عصر بداية التدوين والكتابة العربية. فصنّف عبد الله بن عامر اليحصبي المتوفى سنة ١١٨هـ/ ٧٣٦م كتاباً عنوانه (اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق)، كما صنّف الكسائي المتوفى سنة ١٨٩هـ/ ٨٠٥م كتاباً عنوانه (اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة).

وهذان العنوانان يبرزان مسألة في غاية الأهمية سواءً كان في التخصيص المحلي أو المصري أم في اختلافها الذي يمثل مصاحف الصحابة أبيّ وعبد الله بن مسعود وأبي الدرداء وغيرهم ممن كانوا يشكلون مدارس في القراءة أو في الأحرف. وهناك أيضاً المصحف الذي ألفه خلف [كذا ورد اسمه وربما هو خلف بن هشام بن ثعلب البزار المتوفى سنة ٢٨٦ هجرية/ ٨٩٩ وقال ابن النديم أن له كتاباً عنوانه القراءات] وعنوانه (المصاحف) والكتاب الذي ألفه أبو الحسن علي بن محمد المدائني المتوفى سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٥ وعنوانه (في اختلاف المصاحف وجمع القرآن). والعنوان يشير إلى تأثير المدائني في فكرة المستشرق برتون عند اختيار نفس العنوان لكتابه. كذلك ألّف العالم الفرّاء المتوفى سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م كتاباً بعنوان (اختلاف مصاحف أهل الكوفة والبصرة والشام). الأمر الذي يعكس استمرارية تفكير العلماء المسلمين في جدلية اختلاف قراءات الأمصار الإسلامية. وألّف أبو حاتم السجستاني المتوفي سنة ٢٥٥هـ/ ٨٢٠م كتاباً بعنوان (اختلاف المصاحف) وصنّف العالم ابن أبي داود السجستاني صاحب السنن المشهور والمتوفى سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م كتاباً بعنوان (المصاحف) وقيل أنه أيضاً كان بعنوان (اختلاف المصاحف)؛ وصنّف العالم محمد بن عبد الرحمن الأصفهاني المتوفى سنة ٣٠٦هـ/ ٩٧٠م كتابا وعنوانه (اختلاف المصاحف)؛ كما ألّف العالم ابن الأنباري المتوفى ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م كتاباً بعنوان (اختلاف المصاحف)[٢٩].

فالملاحظة إن هذا الميدان قد أشبع لدرسا وتمحيصا من العلماء المسلمين، فالعالم عبد الله بن عامر اليحصبي، كما يقول ابن النديم، قد أخذ القرآن عن عثمان ابن عفان وقرأ عليه ويعدّ من الطبقة الأولى من التابعين، ونلحظ أيضاً اهتمام علماء اللغة العربية والنحو

(٢٩) ابن النديم؛ محمد بن أبي إسحق الوراق: كتاب الفهرست (تحقيق رضا -تجدد (طهران، ١٩٧١) صفحات ٣١-٣٢؛ ٣٦.

كالكسائي والفرّاء، بمعنى التركيز على الجوانب اللغوية في اختلاف الأحرف والقراءات. والملاحظة الأخرى إن ابن النديم المتوفى حوالي سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠ الذي اهتم بشأن اختلاف المصاحف عند بعض الصحابة فأتى عليها وقلّب بعضها وأورد ترتيب وأسماء السور فيها قد وقف على ذكر هذه المؤلفات الخاصة باختلاف القراءات واختلاف المصاحف وصارت مصدراً مهما لكل من المستشرقين برتون وويلج[٣٠].

وفوق هذا وذاك فأن هناك أدلة واضحة وكاشفة على خطل رأي المستشرق (أي خطل نظريته) في كتاب الله تعالى قد تردد صداها في أحاديث وأقوال الأئمة أئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام التي، مع كل الأسف، قد كتمها وغمط حقها المؤلفون والمؤرخون من أهل السنّة مع الأسف كالبخاري والطبري وغيرهم كثر، أؤلئك الذين صارت الأولوية والسبق التاريخي والفكري لمروياتهم ومعلوماتهم التي زوّدت المستشرقين بغذاء التفسيرات الحاقدة على القرآن الكريم نظير رواية معركة اليمامة وقول الصحابي حذيفة بن اليمان ورواة عرفوا بفقدان البصيرة الإسلامية السمحة والعادلة. ولنضرب الأمثال على ضعف بصيرة وتبصر هؤلاء وأولئك فالمعروف أن المؤلفات التفسيرية تلك التي قد وردت أسماؤها وقد تمّ بالفعل تحقيق معلومات عنها من قبل المستشرقين الذين سبق ذكرهم تواً نظير المستشرق المعروف جيفري .A Jeffery مثل كتاب المصاحف لابن ابي داود السجستاني واعتمد على عدد من المؤلفات الإسلامية في تحقيقه، كذلك فإنه اعتمد على الكثير من المؤلفات الخاصة بالمصاحف وتفاسير القرآن الكريم في كتابه المذكور آنفاً (موارد أو مصادر حول تاريخ النصّ القرآني). كذلك لابد من الإشارة إلى فهرست ابن النديم إذ أفرد حيّزاً من الكتاب عن هذا الميدان؛ وحول مؤلفات تفسير القرآن فمما أورد ذكره أن الإمام محمد

(٣٠) م. ن. ٣٨-٣٩.

بن علي بن الحسين الباقر عليه السلام قد صنّف كتاباً في تفسير القرآن الكريم ورواه عنه عليه السلام أبو الجارود زياد بن المنذر زعيم الجارودية وهي من بين فرق المذهب الزيدي[٣١].

وأما وبحسب ما رواه الأئمة الأطهار عليهم السلام من نسل الإمام الحسين عليه السلام إنهم لم يشيروا إلى هذا المصحف بالذات؛ حقيقة إنهم عليهم السلام وخصوصاً الأئمة الباقر والصادق والرضا والعسكري عليهم السلام قد ألقوا أضواءً وآراءا قيّمة جداً بخصوص تفسير الكثير من آيات الذكر الحكيم إن كانت على صيغة أجوبة عما كان يسألهم اتباعهم وتلامذتهم ومن كان يحاورهم ويجالسهم أم في توجيهاتهم ومحاضراتهم وتصويباتهم.

والجدير ذكره أن الإمام العسكري عليه السلام كان له تفسير -وإن كان رأي البعض من الباحثين العرب والأجانب بكونه منسوباً للإمام -لكنه موجود ويقدّم العون الكثير في هذه النقطة من حضور الأئمة الأطهار الفاعل والجدلي بما له علاقة بتفسير آيات الذكر الحكيم، بأن الكثير منها إنما تشير إلى الإمام علي عليه السلام وإنها نزلت بحقه وبحق ولاية أهل البيت الأطهار غير أنهم عليهم السلام لم ينصّوا على أن هذه الآيات أو بالأحرى هذه التفسيرات موجودة في قرآن الإمام المشار اليه آنفاً أو مقتبسة منه، وفي أحيان كثيرة ينصّ المفسرون الشيعة على قول الأئمة الأطهار على أن هذه الحالات والتفسيرات وردت في (كتاب) الإمام علي عليه السلام. وهناك ثلاث حالات تعدّ مهمة جداً أوردها ابن النديم في فهرسته القيّم؛ الأولى منها بشأن النحوي المشهور الكسائي المتوفى سنة ١٨٩هـ/ ٨٠٥م. والمعروف إن الكسائي هو من القرّاء السبعة ومن أهل الكوفة قد قرأ على عبد الرحمن بن أبي ليلى وحمزة بن حبيب فيقول ابن النديم ما نصّه «فما خالف فيه الكسائي حمزة فهو بقراءة ابن أبي ليلى. وكان ابن أبي ليلى يقرأ بحرف علي عليه السلام». ولعل المقصود من هذا النصّ إن عبد الرحمن بن أبي ليلى ظلّ حتى حوالي نهاية القرن

(٣١) م. ن. ص٣٢؛ ٣٦.

الثاني للهجرة يقرأ بقرآن الإمام وذلك على أساس أن الحرف وبحسب ما تقدم ذكره يعني القراءة أو القرآن. والرواية الثانية المهمة ما يتعلق بالقارىء أبي علي الحسن بن داود المعروف بالنقّار. كان النقّار قرشياً من بني أمية ومن أهل الكوفة ومن القرّاء المعروفين ترجع سلسلة قراءته إلى الإمام علي عليه السلام ثم إلى النبي صلى الله عليه وآله، فوفقا لهذه الرواية وهي: «قرأ علي أبي محمد القاسم ويعرف بالخياط.. وقرأ الخياط على الشموني، وقرأ الشموني على الأعشى وقرأ الأعشى على أبي بكر وقرأ أبو بكر على عاصم وقرأ عاصم على أبي عبد الرحمن السلمي وقرأ السلمي على علي عليه السلام وقرأ علي على النبي صلى الله عليه وآله». فالمقصود هنا أيضاً إشارة مهمة على أن السلمي قرأ حرف علي عليه السلام التي هي بدورها تعني أن الإمام قد قرأ قرآن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فإن صحّ هذا الاستنتاج فإن قرآن الإمام كان موجوداً ومعروفاً بين طبقات القرّاء. ووردت الرواية الثالثة ضمن قائمة من روى عن أبي بكر بن أبي النجود، عاصم بن بهدلة وهو من قرّاء الطبقة الثالثة من الكوفيين وتوفي سنة ١٢٨ هجرية/ ٧٤٥م، فكانت قراءة حفص بن سليمان قد أخذها عن عاصم وهي مرفوعة إلى الإمام علي على وفق رواية أبي عبد الرحمن السلمي. والمهم أن حفص بن سليمان قد توفي على الرواية الصحيحة في سنة ١٨٠هـ/ ٧٦٩م. وكان عاصم أحد القراء السبعة أيضاً[٣٢].

وما له علاقة بالموضوع السابق إن أبا القاسم فرات بن إبراهيم الكوفي صاحب (تفسير فرات الكوفي) والمحدّث الشيعي أبو النصر العياشي التميمي الكوفي من أعيان علماء الشيعة صاحب كتاب التفسير، المعروف بتفسير العياشي رويا وبحسب سلسلة السند الآتية:- عن سوران بن مسلم عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام، قال أبو علي الحسن بن محبوب وأخبرني عمر بن عمر عن جابر أن الإمام جعفر الصادق أخبره عن أبيه قال «وجدنا هذا الكلام مكتوباً في كتاب من كتب علي بن أبي طالب عليه السلام

(٣٢) م. ن. ٣١، ٣٣.

حول الخلق وخلق الطبائع الأربعة الريح، والبلغم، والمرّة والدم». وهذا المعنى اراد به كتاباً للإمام بخصوص أقواله عليه السلام وعلمه في هذه الكيفية والكيفيات الأخرى ولا يقصد منه قرآن الإمام عليه السلام بحسب رواية العياشي. لكن يذكر فرات الكوفي بسلسلة سند ترجع إلى الإمام علي عليه السلام في آية (كتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) أنها في قراءة الإمام (هو كتاب علي لا ريب فيه هدى للمتقين)[٣٣].

كذلك فقد أورد العياشي رواية بخصوص سورة المائدة في قوله عزّ من قائل ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾. ونقل العياشي عن سماعة ابن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبي يفتي وكنّا نفتي ونحن نخاف في صيد البازي والصقور. فأمّا الآن فإنّا لا نخاف ولا يحلّ لنا صيدها إلّا أن تدرك. وإنه لفي كتاب علي عليه السلام إن الله تعالى قال (ما علّمتم من الجوارح مكلبين) فهي الكلاب[٣٤].

كذلك بحسب رواية الحلبي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال إن الآية (إلّا ما علّمتم من الجوارح) في كتاب علي عليه السلام المقصود بها الكلاب. وأورد العياشي بسند عن أبي هبيرة الحذّاء عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال سمعته «يقول:- وجدنا في بعض كتب أمير المؤمنين عليه السلام قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله إن جبرئيل عليه السلام حدثه أن يونس بن متى عليه السلام بعثه الله وهو

(٣٣) فرات، أبو القاسم فرات بن إبراهيم: تفسير فرات الكوفي (تحقيق محمد الكاظم، طبعة ثانية) تهران ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥، وزارة فرهنك وارشاد اسلامى) ص ٢٥، ٥١ -٥٢. العياشي: تفسير العياشي (دققه وحققه وصححه وعلق عليه الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، جابخانه علمية، قم) جزء ١ ص ٢٦ -٢٨.

(٣٤) سورة المائدة، آية ٤؛ فرات، أبو القاسم فرات بن إبراهيم: تفسير فرات الكوفي (تحقيق محمد الكاظم، طبعة ثانية) تهران ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥، وزارة فرهنك وارشاد اسلامى) ص ٢٥، ٥١ -٥٢.

ابن ثلثين سنة»[٣٥].

فهذه الروايات المستندة إلى أقوال الأئمة الأطهار تشير إلى أن للإمام علي عليه السلام كتاباً يعرف «بكتاب علي عليه السلام» ولعله يحتوي على عدة كتب اعتماداً على أقوال الأئمة عليهم السلام (كتب علي أو كتب أمير المؤمنين) والكتاب بحسب المحتوى الذي ورد فيه تفسير فرات والعياشي له علاقة بالقرآن أو من جهة أخرى بتفسير آياته.

ولعل من الصائب القول إن القرآن والكتاب هما وحدة واحدة إذ يضم بين دفتيه آيات الذكر الحكيم فضلاً عن معاني القرآن وأسباب النزول والتفسير استناداً إلى ما حدّث به رسول الله صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام في مثل تلك الجوانب المهمة، ففي رواية للعياشي بسنده عن علي بن حمزة عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام بشأن قوله تعالى في سورة هود ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ فقال أبو عبد الله عليه السلام وهكذا قرأه أمير المؤمنين عليه السلام[٣٦]. وتدلّ هذه الرواية دلالة واضحة وجلية أن الإمام أبا عبد الله الصادق عليه السلام يشير إلى حرف لقرآن الإمام علي عليه السلام وهذا يشمل أيضاً كتابه.

وهناك موضوع مهم جدا يتعلق بتصنيفات المستشرق ونزبوروغ للقرآن المجيد تلك التي ظن انها تتشابه مع ما هو موجود في التراث العبري وفي جزء من التلمود. فلو قرأ ما هو متوافر في مؤلفات التفسير الشيعية[٣٧] لما أزعج نفسه في البحث عن تصنيف لسور

(٣٥) تفسير العياشي جزء ١ ص ٢٩٤؛ ٢٩٥. جزء ٢ ص ١٢٩؛ ص ١٥٨.

(٣٦) ينظر، فرات الكوفي، أبا القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي: تفسير فرات (تحقيق محمد الكاظم (طبعة ثانية ١٤١٦هجرية/ ١٩٩٥م، تهران وزارت فرهنك وارشاد اسلامي١٤١٦قمري) ص٤٦ -٤٧؛ النعماني، أبا عبد اللّه محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب النعماني، تفسير النعماني، في شرح التفسير (تحقيق الحاج الشيخ حسن الفريد الكلبايكاني ١٣٩٩هجرية) ص٥. ٥٥ الشيخ الطوسي، أبو جعفر: تفسير التبيان (تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي (طبعة النجف) الطوسي، تفسير التبيان مجلد ١ص٧.

(٣٧) تفسير العياشي ص١٣. ينظر تفسير فرات الكوفي ص٤٧، ٤٨.

وآيات القرآن. إذ ورد في تفسير فرات الكوفي رواية عن الحكم عن أبن عباس قُال:- أخذ النبيﷺ يد عليّ فقال:- إنّ القرآن أربعة أرباع ربع فينا أهل البيت خاصة وربع في أعدائنا وربع حلال وحرام وربع فرائض وأحكام وإنّ اللهّ أنزل في عليّ كرائم القرآن)[٣٨]؛ ووردت رواية في تفسير فرات وعلي بن إبراهيم القمي عن الأصبغ بن نباته من صحابة الإمام عليّ قول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إذ أنه قال (القرآن أربعة أرباع ربع فينا وربع في عدونا وربع سنن وأمثال وربع فرائض وأحكام ولنا كرائم القرآن)[٣٩]. وجاء في تفسير النعماني ما نصّه «سأل أمير المؤمنين شيعته عن مثل هذا (أي عن مقاصد القرآن الكريم وخصائصه وتصنيف سوره وآياته الى أهداف وحقول) فقال إن اللهّ تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام كلّ منها شاف كاف وهي أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل ومثل وقصص. وفي القرآن ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وخاص وعام ومقدّم ومؤخر وعزائم ورخص وحلال وحرام وفرائض وأحكام ومنقطع ومعطوف ومنقطع غير معطوف وحرف مكان حرف.؛ وبحسب ما قاله الشيخ أبو جعفر الطوسي «بحرف واحد على نبي واحد»[٤٠].

فكتاب الله إذن هو المصدر الأساس الذي أجمع هذا النفر من قريش على أن يعملوا على جمعه وترتيبه وربما التدخل في صياغة آياته وحذف أو التلاعب بماله علاقة بإرث آل بيت النبوة في الإسلام. ولهذا الأمر فقد تعجل في أدائه القسم على نفسه أن يؤدي الأمانة الحقيقة لكتاب الله تعالى على وفق المنهج الذي علّمه إياه رسول اللهﷺ في أسباب التنزيل

(٣٨) يراجع تفسير العيّاشي، ص١٤ -١٥.
(٣٩) ينظر الطبري؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن؛ مجلد٣صفحة١٠٠ -١٠١.
(٤٠) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فنيّ الدراية والرواية من علم التفسير (الكويت١٩٨٥) سورة البقرة آية ٢٧٤هامش ص ٨؛ كذلك ينظر تفسير فرات الكوفي ص٤٧، ٤٨. تفسير العيّاشي، جزء ٢ ص١٤ -١٥؛ ١٢٩.

والتأويل والترتيب. فأورد العياشي أبو النضر محمد بن مسعود السلمي المحدث العالم وصاحب التفسير الشيعي روايات كثيرة، عن نبوغ الإمام في علوم القرآن، رواية تفيد في هذا المجال كما رواها الأصبغ بن نباتة صاحب شرطة الإمام على البصرة وتفيد أن الإمام صلى بالناس صباحاً عندما قدم إلى الكوفة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ فقال المنافقون "لا يحسن أبن أبي طالب أن يقرأ بلغة ذلك قال: ويل لهم إني لأعرف ناسخه من منسوخه ومحكمه من متشابهه وفصله من فصاله وحروفه من معانيه. والله ما من حرف نزل على محمدﷺ إلا أني أعرف فيمن نزل وفي أي يوم وفي أي موضع، ويل لهم أما يقرؤون ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ والله عندي ورثتها من رسول اللهﷺ. وقد أنهى رسول اللهﷺ من إبراهيم وموسىعليهما السلام. ويل لهم والله أنا الذي أنزل الله فيّ ﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾. فإنما كنّا عند رسول اللهﷺ فيخبرنا بالوحي فأعيه أنا ومن يعيه، فإذا خرجنا قالوا: ماذا قال آنفاً"[٤١]. وذكر اليعقوبي رواية تكرّر ذكرها في التفاسير الشيعية نصها (وقال بعضهم إن علياً قال: نزل القرآن على أربعة أرباع ربع فينا وربع في عدونا وربع أمثال وربع محكم ومتشابه)[٤٢].

إذن علينا الآن، بعد هذه الجولة العلمية في ما أسهم به الفكر الشيعي من إسهام فاعل بصدد تفسير القرآن الكريم، أن نعرض رأي المستشرق في كتابه الذي ألمحنا اليه سابقا (دراسات قرآنية) وإبراز النقاط الأساسية لوجهة نظره وعلى وفق المحاور الآتية:-

١. **المحور الأول:**

جميع المستشرقين ممّن عرضوا الكتاب وقومّوه يشيرون الى أن ونزبورغ

(٤١) النعماني، أبا عبد اللهّ محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب النعماني، تفسير النعماني، في شرح التفسير (تحقيق الحاج الشيخ حسن الفريد الكلبايكاني ١٣٩٩هجرية)ص٥؛ تفسير النعماني ص٥؛ الشيخ الطوسي، أبو جعفر: تفسير التبيان (تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي (طبعة النجف) مجلد ١ص٧.

(٤٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٩٣.

قد تابع أعمال ونتائج المستشرقين الألمان من الجيل الأول وبخاصة المستشرق المجري الذي كان يكتب دراساته باللغة الألمانية جولد تسيهر (Ignaz Isaak Yehuda Goldziher المولود في حزيران ١٨٥٠ فيمدينة StuhlweiBenburg، والمتوفى في بودابست في ١٣ تشرين الثاني من سنة ١٩٢١. وهو مستشرق مشهور في دراساته وتأثيره على المستشرقين الأوربيين واليهود والإسرائيلين منهم بشكل خاص والباحثين العرب والمسلمين أيضا. والدراسة التي اعتمد عليها المستشرق ونزبورغ في بناء أفكاره (Muhammedanisch Studen) المطبوع في هاله Halle في عام ١٨٨٩-١٨٩٠) في جزئه الثاني الذي ترجم الى اللغة العربية بعنوان (دراسات محمدية). واعتمد على المستشرق الألماني الآخر المعروف في دراساته عن الفقه الإسلامي جوزيف شاخت (Joseph Schacht) المتوفى في ١٩٦٩ في دراسته (أصول الفقه المحمدي Origins of Muhammedan (Jursprudens المطبوع في عام ١٩٥٠. فهذان المستشرقان يريان في دراساتهما تلك عدم موثوقية وعدم مصداقية unreliable المرويات الحديثية والتاريخية في مؤلفات الصحاح والتاريخ كالطبري فيما يتعلق الأمر بعملية جمع القرآن الكريم أيام الخليفة الأول أو الخليفة الثاني، فقد عدّا الكثير من الأحاديث الواردة في صحيح البخاري والصحاح الأخرى عبارة عن أدب قصص خيالية ولا قيمة تاريخية لها خصوصا كونها لا تعكس بصدق أحداث الزمن التاريخي التي تتحدث تلك المرويات عنها، وهي لا تعكس أي اهمية عن الأحداث التاريخية التي تشير اليها، فضلا عن كونها تخالف الرأي القائل بأن جمع القرآن قد حدث في حياة محمدﷺ. لكنهما يعتقدان بأن ما أوردته الآيات القرآنية بصدد سيرة محمد وحياته ومعتقده تشكل المصدر الأكثر صدقية من تلك المرويات والأحاديث. ويرى المستشرقون

الذين يدعمون آراء جولدتسيهر وشاخت بأن هذه الآراء غير متسقة مع الحقيقة التاريخية ولذا لا يتفقون مع جولدتسيهر وشاخت في هذا المنحى، وقد عرّف هؤلاء المستشرقين بكونهم يمثلون الجانب المتطرف جدا من المستشرقين radicals من الجيل المعاصر. فأنهم قد تخلو عن الأعتدال أو الوسطية التي بدت في آراء كلّ من جولدتسيهر وشاخت. فالمستشرق ونزبورغ ومجموعة من تلامذته، وهم يمثلون الآن الفئة المتطرفة جدا من المستشرقين المعاصرين من أمثال مايكل كوك وباتريشيا كرونه وأندرو ربن وجيرالد هاوتنغ Gerald Hawting. فهؤلاء وغيرهم قد شكّكوا أصلا في أهمية دور وفاعلية الرواية الحديثية والتاريخية الإسلامية، وهم يرون بأن تلكم الروايات لا قيمة لها تاريخيا ولاسيما في حقل جمع القرآن ذلك لأنها تتضمن معلومات غير مؤكدة ولا واضحة بخصوص جمع القرآن. أي أن ونزبوروغ وغيره من ألمستشرقين المعاصرين قد ألغوا أي دور للمروايات الحديثية والتاريخية الإسلامية. وبالنتجة فإنهم أدانوا تلك المروايات التي تتجه الى أن تدوين القرآن وجمعه كان من كلام محمد نفسه[٤٣]. فيذكر ونزبوروغ في إستهلاله لكتابه (دراسات قرآنية) ما ترجمته:- فبالنسبة الى الشيء المدوّن عن الوحي عند المسلمين فإن كتابنا هذا ليس بحاجة الى مقدمة. وباعتباره وثيقة فهي عرضة للتحليل بواسطة أدوات وتقنيات وفنيات النقد البابلي Biblical criticism التي لم تكن معروفة بشكل عمليّ. أمّا بالنسبة الى المصاعب العقيدية أو المذهبية تلك فهي تقليديا التي تعيق مثل هذا

(٤٣) ينظر: Harald، Motezki; " The- collection of the Qur'an: A reconsideration of Western Views in light of recent methodological developments " in Der Islam، Bd. 78. S. (2010 Ps. 4، 11;Skepticism And Koranic Research. by Ibn Warraq ..((Dec. 2007

الإستقصاء فهي على عكس تلك شائعة ومعروفة جدا. وليس فقط العقائد أو المبادئ مثل تلك التي تعرّف وتحدّد الكتاب المقدس scripture ككلام الله غير المخلوق وبعدها تعترف في عرفيّته ورسميته وواقعيته بله ووجوده الذي لا يضاهى أو لا يضارع، ولكن أيضا ينطبق هذا على الجزء الأساسي من علم أو من التدوين التاريخي الإسلامي برمته، وذلك عن طريق توفير رواية متماسكة ومعقولة أو قابلة للتصديق تقريبا بشأن الظروف والملابسات التي اكتنفت مسألة الوحي القرآني، قد أعاقت تمحيص وفحص الوثيقة كالتي أعيد تقويمها كنموذج لاسلوب أو لنمط أدبي تقليدي. ومع ذلك فإن التدوين التاريخي شأنه شأن الضروب الأدبية الأخرى تستمد نصيبها أو حصتها لزخمها أو لقوتها الدافعة momentum من اسلوبها الأدبي في الرواية والسرد التي اعتمد عليها في التعبير. فالروايات التاريخية عن الوحي القرآني هي ليست اسثناء عن ذلك، وحسب ما يبدو ليّ أن التحليل البنيوي، ليس فقط بشأن نصّ الكتاب المقدس ولكن أيضا لدليل أوشاهد آخر له علاقة بمنشأه أو في سفر التكوين genesis أو في تأويله وتفسيره، ربما سيؤدي أو سينتج ثمّة فائدة للمقارنة مع التدوين التاريخي التقليدي أو الحديثي. وبكلمة مختصرة فإن ونزبروغ يعتبر -كما لاحظنا -، من خلال النظر الى النصّ أو معاينة للنصّ القرآني والنصّ المتوافر للكتابات التاريخية الإسلامية بشأن القرآن، بأنه يستطيع أن يدرك أو يلحق بشرح وبتفسير عن أصول ومنشأ القرآن الكريم[٤٤].

وهكذا يظهر بأن ونزبوروغ يرى انتفاء وجود مصادر عربية مكتوبة تحدثنا بما حدث بالفعل، وأن جميع ما لدينا هو -بحسب قول المستشرق- مجرد أدب. وقد طبق في دراسته النقد الأدبي معتمدا على ضربين

(٤٤) Wansbrough، John: Qura'in Studies (edited by Andrew Rippin forward Pp XIV.

من النقد ما يسمى بالنقد المختصر redaction criticism وأمّا الثاني فهو ما أطلق عليه النقد اللغوي form criticism. فضلا عن ذلك فأنه لم يعتمد على المصادر التقليدية، معتقدا بأن هذه المصادر لا تقدّم معلومات تتمع بالصدقية والقبول وبالأخص بالنسبة الى المعلومات التي لها علاقة بأحداث جمع القرآن خلال المرحلة الأولى للإسلام. ويبني المستشرق موقفه هذا بأن تلك المصادر لم تكن معاصرة للأحداث المحيطة بجمع القرآن؛ ومؤلفوها يزعمون بكونهم يدونون ويسجلون تلك الأحداث غير أنه لم يكن أي منهم محايدا في عرضه[٤٥].

٢. المحور الثاني:

وبالاضافة الى تأثير كتابات وآراء المستشرقين جولدتسيهر وشاخت على مواقف المستشرق ونزبوروغ، فإن هذا المستشرق قد درس القرآن الكريم وأدب التفسير الإسلامي دراسة تحليلية مستندا الى موروثه التوراتي، فهو يرى بأن مباني القرآن بالصيغة المتوافرة الآن-يقصد القرآن الذي نقرأ به- يتسم بمرويات متنوعة غير مترابطة ترابطا منطقيا ellipsis وكونها مكرّرة أو معدّة مسبقا الى درجة قد توحي الى أنها لم تكن قد نفّذت أو أنجزت بإتقان من قبل أحد الرواة أو من قبل مجموعة منهم، والأحرى أنها ناتجة عن تطور أساسي وجزء لا يتجزء من مروايات مستقلة في الأصل خلال فترة طويلة من النقل[٤٦]. وهو يعتقد أن هذه المروايات كأنها بريسكوب periscopes (مثقاب) بمثابة المأثور النبوي prophetic logia وهي في حقيقتها قد نقلت شفاها عبر فترة طويلة من الزمن وتطورت بل ونمّت أخيرا لتكون مصحفا canon واحدا. وفي نهاية هذه العملية، فأن الإعتراف في هذا المصحف لا يمكن أن تكون أبكر من نهاية القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد. وأن تثبيت أو تأسيس هذا النصّ المعياري ذي القيمة أو المعترف به في المجتمع

(٤٥) Ibid.

(٤٦) Ibid. P. 47

الإسلامي كالذي تضمنته مرويات مصحف عثمان لا يمكن أن تكون أبكر من القرن الثاني للهجرة. وبناءا عليه فأن هذه المرويات الحديثية وغيرها تلك المتعلقة بعملية جمع القرآن علينا أن نعتبرها مرويات غير مقبولة وغير موثوقة تاريخيا، لكن يمكن اعتبارها قصصا خيالية أو من قصصا من الأدب الخيالي. ويحتمل أن هذه المرويات المنقولة قد ابتدعها علماء الفقه أو علماء الشريعة كما استنتج جون بيرتون John Burton وهو مؤلف كتاب (جمع القرآن)، وذلك من أجل شرح أو تفسير المذاهب الشرعية التي لم تكن موجودة في المصحف، أو ربما قد حوّرت ولطّفت المرويات الربانية العبرية Rabbinical accounts المؤسسة أو التي بنيت في الأساس على نصّ (Urtext) للأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم Pentateuch والكتاب المقدس العبري. على هذا الأساس فأن هؤلاء النفر من المستشرقين المعاصرين المتطرفين إن كان ممّن تأثر أوتعلّم في مدرسة المستشرق ونزبوروغ (إن شئنا تسميتها مدرسة لأنهم بالفعل قد كثّفوا دراساتهم حول منهجه وفلسفته) أم ممّن تأثر بنتائج آرائه من المبشرين المسيحيين نظير دانيال ببس Pips، فقد حكموا مسبقا presuppose على أن جمع المصحف canon لم يرجع في تأريخ جمعه وشرعيته قبل فترة القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي[٤٧].

(٤٧) Wansbrough: Qur'anic Stu ies (1977) Ps.. 43، 44، 47 -52; P. Crone and W. Cook: Hagarism: The Making of Islamic World (Cambridge 1977) P. 3 ; W. Cook: Muhammad (Oxford، 1983) Ps. 68، 69، 70، 71; Hawting ;G. R. Hawting: John Wansbrough، Islam and Monotheism Reconsidered: John Wansbrough and the study of early Islam(Berlin -New York ; mouton de Gruyter، 1997. P. 33 -34 ;Daniel، Pips: The study of islam post -1969 and post John Wansbrough in (Middle East Forum (United States)، Jul 10، 2011. Wansbrough; Qur'anic Studies

فالمستشرق ونزبورغ يصرّح فيما يتعلق الأمر بفكرته عن ظاهرة التكرار في القرآن الكريم repetition فيقول ما أمكننا ترجمته حرفيا:- إن ظاهرة التكرار في القرآن إنّما ذلك يعلن على أنه ليس هنالك مؤلف واحد، أوحتى لا يعني وجود لجنة مؤلفة لتأليفه. وبدلا عن ذلك يبدو ومن المؤكد إن تلك الأجزاء من النصّ قد اعتبرت بالفعل مقدسة. ولقد ذهب ونزبوروغ بعيدا في انتقاده العلماء الآخرين ممّن بحث في هذا المجال القرآني مستندا الى التاريخ الحولي التقليدي بخصوص هذا التكرار وبخصوص أصول الوحي[٤٨]. رقم ونزبورغ ينظر هيرالد). وممّا يجدر ذكره أن البروفسور أندرو ربن Rippin تلميذ ونزبوروغ وأحد المؤيدين لمدرسته قد دعم آراء ونزبوروغ السابقة في مقدمته للكتاب إذ يذكر في هذه المقدمة ما يأتي:- ممّا هو جدير بالتأمل والتفكير أن هذه المسألة الحاسمة والنزاعة الى الانتقاد الا وهي مسألة ظهور أو نشوء القرآن في حجمه الكبير الأخير. وفي الأساس فإن الإشكالية والسؤال اللذين يدوران حول هذا الموضوع هو ما الذي نقصد بالقرآن، وعن أي نوع من الأدلة والشواهد التي لدينا؟. فما نمتلك من جواب لهذا التساؤل هو: هنالك قدر كبير من الغموض وعدم الوضوح بما نقصد بالفعل في القرآن. وإن ونزبوروغ بالتأكيد يتحدث بخصوص أمر له من الأهمية بمكان، وليس تفسير بنّاء نظري فحسب. وأرى أنه عندما نتحدث عن القرآن في هذا المضمون والفحوى، وإن كنا نهدف الى مناقشة ومحاججة لها معنى وفائدة بشأن هذا التساؤل، هناك ثلاثة عناصر ينبغي

(٤٨) Ibid. Daniel، Pips: The study of islam post -1969 and post John Wansbrough in (Middle East Forum(United States)، Jul 10، 2011 (47)(48) Wansbrough، Qur'anic Stud- Harald،- :; ies (1977) P. 47 Motezki; " The collection of the Qur'an: A reconsideration of Western Views in light of recent methodological devel- opments " P. 11

أن تتماثل أمامنا لها دور وحركة وفاعلية وهي: أولها أنه يجب علينا أن نثبت مجموعة ثابتة من النصوص، وثانيها التدوين أو التسجيل، وثالثها، درجة أو قدر من التقبل لذلك بين مجموعة من الناس، على أن تلك المجموعة من النصوص تعدّ مصدرا موثوقا ويتميز بالصدقية(٤٩). ويعقب في الفقرة اللاحقة قائلا ما ترجمته الى العربية:- والآن، لعله يفهم أو يدرك بإنني قد عرّفت أو وضّحت إشكالية و تساؤل بشأن مالذي يقصد بالقرآن بطريقة أو باسلوب غير عقلاني، وكذلك فإنني أتحدث، في الحقيقة، عن أمر قد اتفق عليه الجميع بأن القرآن هو من نتاج الفترة المتأخرة(٥٠).

وفي هذا المجال فإن المستشرق ونزبوروغ ربما وجد تهافتا أو ضعفا في قوله من أن القرآن لم يجمع إلّا في منتصف القرن الثاني أو في مطلع القرن الثالث للهجرة؛ إذ أثار بعض العلماء معارضة مهمة ألا وهي إذا كان الأمر كذلك فما كان موجودا بالفعل عند المسلمين خلال القرنين السابقين للتاريخ الذي حدّده للجمع المعترف به. نلاحظ هنا التعارض في أقواله ففي رأيه كان هنالك مجموعة من(اللوجيا بروفيتك) Logia Prophetic التي تمثل أو لا تمثل الوحي revelation (واللوجيا يمكننا تعريفها بالأقوال المأثورة وهذا متأثر بالفكر المسيحي فهي تعرّف أقوال المسيح عليه السلام بمعنى إنه شبّه الآيات القرآنية أو المجموعة الموجودة من المآثر النبوية هذه بالآيات القرآنية، وهو يعترف بكونها ربما تمثل الوحي. ومن أجل أن يظلّ باقيا فى ظنّه هذا أو تخمينه فهو يعتقد أن ما موجود قبل القرن الثاني للهجرة مجرد معلومات التي انبثق منها حصرا القرآن. إن هذه اللوجيا كانت عبارة عن سلسلة من (ها هنا يستخدم هذا المصلح ليقصد به uncoordinated periscopes مختارات أو مقتطفات غير مترابطة من

(٤٩) Forwad by Andrew Rippin .Pp. X1V –XV

(٥٠) .Ibid. XV1

أجل تلبية احتياجات المجتمعات أو مجاميع من الناس في الوسط الطائفي أو الوسط الفرقي داخل المجتمع السامي (Semitic Monotheism). وقد أدّى به هذا الموقف الى أن يبذل جهدا غير عادي للوقوف مع وجهة نظره وإبطال أو ورفض أي حجة أخرى لا توافق رأيه، وإن كانت بالغة الأهمية، تقف لتناقض نظريته. ومثال على ذلك رفضه للرسالة التي كتبها الحسن البصري (المتوفى ١١٠هجرية/ ٧٢٨م الموسومة (القدر) فرأى أنها منسوبة الى الحسن البصري وهي رسالة مشكوك في صدقيتها؛ على الرغم من أن هناك الكثير من العلماء ممّن أيد موثوقيتها وصحة نسبتها الى الحسن البصري؛ وهو من بين القلائل من العلماء ممّن سار على منهجه الذين قالوا إن الرسالة هي أيضا من نتاج القرن الثاني للهجرة/ الثامن الميلادي[٥١].

(٥١) Madigan، A. 85 (1995) P. 357 “ Reflections on some current directions in Qur’anic Studies “ in The Muslim World 85 (1995) P. 357. As cited by Ismail Al –bayrak: Qur’anic Narrative and Isra’iliyyat in Wesrern Scholarship and in Classical exegesis (Ph. D. Thesis. University of Leeds (May، 2000) Pp. 60 –65. لقد قدّم الدكتور إسماعيل في هذه الرسالة الجامعية جهدا طيبا عن الموقف الغربي التقليدي منه والمتطرف بشأن موضوع رسالته وقد اعتمدت على متابعاته

٣. المحور الثالث:

قام المستشرق بتحليل عدّة جوانب من القرآن الكريم نظير المعجم اللغوي للقرآن والأفكار الرئيسة للسور والبنية اللغوية في تركيب الجمل والعبارات الواردة وأحاديث معينة فخرج باستنتاج أنه ليس بين هذه كلّها نصّ أصلي يرجع الى ما قبل نهاية القرن الثامن الميلادي/ الثاني للهجرة. ولعل من المفيد القول هنا إن المستشرق بنى جميع استنتاجاته على مجرد التخمين فهو يكرّر دائما «أنه يعتقد بكذا وكذا» أو «أنه يرى بكذا وكذا» مستخدما بالأساس مجموعة من المصطلحات الأجنبية اللاتينية،

فضلا عن استخدامه اساليب يراد منها تعقيد احتمالاته فيعرضها في كلمات وتعبيرات لاتينية بالحروف اللاتينية نظير argumentum ex silent ولعل أقرب ترجمة حرفية لهذا هو: التعبير الحجة أو البرهان الصامت أو الغير ملفوظ. وهو تعبير كما يبدو يبين أن حجته غير قاطعة ولا يمكننا التعويل على مدى مصداقيتها.

٤. المحور الرابع:

والمستشرق لا يرى صدقية في المعلومات التي تتحدث عن اتصال رسول الله ﷺ باليهود ولا بالنصارى في الجزيرة العربية. فهل يعني هذا أن المستشرق لا يعترف إذن بما هو متوافر في القرآن الكريم من آيات تتعلق ببني إسرائيل وبالسيد المسيح عليه السلام وبالنصارى وبالأخص آية المباهلة؟؟. الجواب كلا لا يعترف بجميع هذه الآيات لأنه قد عزل الرسول عن القرآن والحديث فصلا تامّا؛ فهو لم يكن واضحا ومباشرا.

٥. المحور الخامس:

وفي الفصل الخاص بالقرآن الكريم يناقش المستشرق ونزبوروغ مسألة مهمة وهي أن القرآن يتضمن ضروبا مختلفة من المعلومات وبذلك استنتج بأن أجزاءا منه ربما ترجع الى مجموعات متنوعة من المجتمعات لا الى المجتمع الحجازي. ويعتقد بأنه ليس هناك اتفاق بين الروايات الإسلامية بخصوص النصّ الأصلي للقرآن حتى تقريبا منتصف القرن الثاني للهجرة بحوالي ٨٠٠م[٥٢]. وهي الفترة التي ظهرت فيه عدّة تطورات نظير: جمع الحديث وظهور المذاهب الإسلامية والعقائد الرئيسة في الفقه الإسلامي[٥٣]. ويقول

(٥٢) See Adam، C. ; " Wan - brough's Theory on the Origins of the Qur'an" in Herbert Berg (ed) Islamic Origins Recosidered: John Wansbrough and the Study of Early Islam(Berln -New York 1977) P. 82; John Wansbrough ; Qur'anic Studies (Oxford University Press 1977) Pp. 47 -51.

(٥٣) Wansbrough، Qur'inc Stu - ies (1977) P. 59.

أن الاعتراف في هذه الأمور وإقرارها يرتبط ارتباطا جذريا بتكوين المجتمع العربي وتطوره. وبكلمة أخرى- بحسب رأي ونزبوروغ -فإن النصّ النهائي والكامل للقرآن لم يكن حينئذ مطلوبا وليس هناك احتياج اليه من المجتمع بصورته الكاملة قبل سيطرة القوى السياسية سيطرة كاملة. وهاهنا فقد وقف ونزبوروغ الموقف ذاته الذي وقفه جولدتسيهر وشاخت من قبل في فصلهم أو فكّهم ارتباط الحديث بالنبي زاعمين أن الجزء الأعظم من الحديث ينبغي اعتباره نتيجة من نتائج التطور الديني والتاريخي والاجتماعي للإسلام خلال القرنين الأول والثاني للهجرة/ السابع والثامن الميلاديين. أمّا المستشرق ونزبوروغ فقد ذهب أبعد مسافة ممّا ذهبا اليه جولدتسيهر وشاخت، فهو لم يفصل أو بالأحرى لم يفكّ ارتباط وصلة الحديث بالنبي عليه أفضل الصلاة والسلام إنّما فكّ صلة القرآن والسيرة النبوية برمتها عن شخصية رسول الله نفسه وعن الجزيرة العربية[٥٤]. ولذلك أكمل بناء موقفه باستنتاجه بأن القرآن على هذا الأساس أي في مسألة عزل الرسول عن القرآن والحديث وعن مكة والمدينة إذ يصل الى نتيجة مفادها بأن هذه عموما إن هي إلّا نتاج الوسط الفرقي، البيئة المذهبية The sectarian mihieu. ثم يستمر في سرده فيذكر احتمالاته من بينها أن المنافسة والمواجهة بين الرسول واليهود لم تحدث في مكة والمدينة إذ لم يكن هنالك إلّا القليل من أهل الكتاب كانوا يعيشون هناك، ولكن بالأحرى المقصود هو بلدان الهلال الخصيب حيث يوجود اليهود وحيث تتوافر المدارس اليهودية والربانيون وأدواره الفعالة والنشيطة وحيث يتوافر النصارى أيضا؛ ففي هذه البلدان كان

(٥٤) Goldziher، I. : Muslim Stu ies (Translated by C. R. Barber and S. M. Stern (London، 1971) Pp. 11، 19; Joseph Schacht: The Origins of Muhammadan Jurisprudence (Oxford، 1950) P. 224.

المسلمون يشكلون الركن الأساسي من المجتمع وكانوا أيضا يحتلون المواقع المهيمن كحكام للدولة العباسية في العراق وسوريا(٥٥).

٦. المحور السادس:

والجدير ذكره إن المستشرق خلال تحليله لأصول الكتاب المقدس scripture وهو هنا يقصد به القرآن الكريم في الفصل الخاص بدلائل النبوة وكذلك في تحليله للغة الكتاب المقدسة sacred language فعرض أربع صيغ رئيسة لرسالة القرآن:- الثواب والعقاب retribution ودلائل النبوة والاشارة أو التحذير sign وعقوبة الطرد والإبعاد والعهد أو والموثق covenant؛ والصيغ الأدبية لهذه المواضيع هي:- صيغة التضرع أو التوسل supplicatory وصيغة القصة أو الرواية narrative والصيغة الدينية formulaic أو صيغة العبارات المستخدمة في الطقوس الدينية(٥٦). وبعد هذا التصنيف لخصائص وأشكال وموضوعات القرآن الكريم يعقب قائلا ما ترجمته:- فإذا أخذنا هذه الخصائص مجتمعة نجد هنالك قدرا كثيرا من الإحالات المكرّرة الى أفكار وكذلك الى اسخدام التكرار الميكانيكي أو الآلي mechanical للخطاب المنمق وللاسلوب الحجاجي الحادّ النبرة؛ وجميع هذه الصيغ توحي الى جوّ فرقي أو مذهبي قوي وراسخ وقد شقت طريقها pressed الى الجزء الأساسي من الكتاب المقدس لخدمة أو لمصلحة تعاليم غير مألوفة أو تعاليم غريبة (انتهى اقول). غير أن المستشرق فريد دونر Fred Donner المستشرق

(٥٥) ينظر (Darwin Press; 1998)P. 37 Fred M. Donner: Narratives of Islamic Origins: The Beginnings of Islamic Historical Writing(Darwin Press; 1998)P. 37 ; Ismail Al–bayrak: Qur'anic Narrative and Isra'iliyyat in Wesrern Scholarship and in Classical exegesis (Ph. D. Thesis. University of Leeds (May، 2000) P. 63

(٥٦) See Wansbrough (1977). P. 20 ; Donner، op. cit. P. 37

الأمريكي المولود سنة ١٩٤٥ مؤلف الكتاب القيّم روايات عن الأصول الإسلامية:- بدايات الكتابة التاريخية الإسلامية Narratives of Islamic Origins: The Beginnings of Islamic Historical Writing (((Darwin Press; 1998). ففي هذا الكتاب وقف في عدّة مواضع منه على آراء ونزبوروغ، وفي هذا الجانب بالذات تساءل بالنسبة الى ما ذكره ونزبوروغ هنا قائلا، لماذا استغرقت هذه التطورات (أو هذه التقويمات) لهذه التنوعات والإختلافات مدة قرنين من الزمن، على الرغم من أن ونزبوروغ نفسه يرى بخصوص التطور (أو الحالة) امكانية افتراض وجودها وحدوثها و تطورها عقود ثلاثة أي خلال ثلاثين سنة فقط؟. بينما في مسألة جمع القرآن استغرقت مائتي سنة[٥٧].

المستشرقون الداعمون لرأي ونزبوروغ

لا مندوحة هنا أن نذكر بأن عددا من تلامذة ونزبوروغ من المستشرقين قد واصلوا منهجه ووقفوا الى جانب رأيه الذي وصفوه «نظرية». ومن بين هؤلاء فقد أيد بوين Puin إستنتاج ونزبورغ بشأن القرآن معتمدا على مخطوطة صنعاء للقرآن الكريم وهي نسخة قديمة؛ وبالمناسبة فقد اطّلعت بالفعل على هذه النسخة وهي مطبوعة في مكتبة من مكتبات تركيا وهي النسخة التي عرّفت بكونها قرآن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام. يقول بوين إن ونزبوروغ قد استنتج بأن القرآن تطور ونشأ تدريجيا فقط في القرنين السابع والثامن الميلاديين بعد أن مرّ بزمن طويل كانت آياته تنقل شفويا فضلا عن أنه لم يكن مجموعا. ويدافع بوين على أن العامل الرئيس لعدم وجود القرآن قبل القرن الثامن الميلادي هو عدم توافر المعلومات الإسلامية المصدرية منذ البداية الأولى للإسلام. لكن بوين يسلّم بأنه قد أعاد قرائته لكتاب ونزبوروغ أثناء تحليله للأجزاء المكتشفة من مخطوطة قرآن صنعاء لأنه اعتقد بصحة قدم المخطوطة إذ تؤشر الى

(٥٧) Donner، Ibid

فترة أقدم ممّا استنتجه ونزبورغ[٥٨].

ومن جانب آخر فإن الباحث الدكتور دانيال ببس Daniel Pipes نشر في موقعه المعروف (منبر أو منتدى الشرق الأوسط Middle East Forum) بحثا تحت عنوان (دراسة الإسلام بعد سنة ١٩٦٩ جون ونزبورغ The study of islam post -1969 and post John Wansbrough) وهو يردّ على مقالة بعنوان (جيشان في دراسات الشرق الأوسط Middle East Studies in Upheaval) قائلا: إن ما يقوله ونزبوروغ هنا -أي في كتابه الذي نخضعه للدراسة هنا -أن القرآن لم يكن قد جمع غلى شكله الحالي قبل أن يستقر النحو واللغة وبناء الجملة أو والإعراب عند العرب، وأن هذه جيعها قد تمّ تحقيقها خلال النشاط أو فاعلية ما يعرف بالماسورا الإسلامية masora والتي يقصد فيها بأن القرآن لم يجمع بالصيغة الحالية الآن إلّا في القرن الثالث الهجري بعد الإسلام وليس أبكر من ذلك، والدليل على ذلك أن القرآن لم يستخدم مصدرا للشريعة والفقه كذلك لم يستخدم في أقدم كتاب فقهي كالذي في حالة كتاب الفقه الأكبر الأول (ألّف تقريبا في ٧٥٠م) وكما أشار شاخت بأن الفقه الإسلامي اللاحق للشافعي ذكر ما يتعلق بعقوبة الزاني والزانية الرجم غير أننا لو رجعنا الى ما جاء في القرآن سوف نجد الجلد وليس الرجم وهذا يعني أن الجلد كان لاحقا بفترة الفقه الأكبر الأول[٥٩].

ويخلص الباحث الدكتور دانيال الى القول بأن ونزبوروغ يرى بأن القرآن لم يأت من الحجاز وبأنه لم يجمع بشكله النهائي قبل القرن الثالث الهجري وأن الإسلام ما هو إلّا النتاج الأخير

(٥٨) ينظر - Ibn al -Warak ; Skept cism and Koraanic Research، For and Against Wansbrough; Wansbrough، op. cit. (ed. By ..... Andrew Rippin P. 122

(٥٩) Daniel: The study of islam post -1969 and post John Wansbrough

للجدل في وسط يهودي+مسيحي وفي مكان بعيد عن الحجاز أي في بلاد ما بين النهرين Mesopotamia في أواخر القرن الثاني وفي القرن الثالث الهجريين من الإسلام. أمّا بالنسبة الى محمد فالمستشرق لم يقل في الواقع أنه يشك في وجوده ولكن يردف بقوله هذا بأن هناك في الحقيقة شخصية تدعى بمحمد (هذا نصّ قول دانيال نقلا عن كتاب ونزبورغ وسوف نتعرض الى مناقشته لاحقا على الرغم من سفاهته ووجهة نظره المتطرفة ضدّا بالإسلام وبالرسولﷺ ضمن محور خاص لمناقشة جميع آراء المستشرق)[٦٠].

كذلك ضمّن المستشرق الإسباني + البريطاني كارلوس سيجوفيا Carlos Andrés Segovia بحثه الذي قدّم به لكتاب مؤتمر عالمي إذ ذكر موقفه الداعم لآفكار ونزبوروغ قائلا ما أمكننا ترجمته حرفيا:- سبّب كتاب ونزبوروغ إعجابا حماسيا furor في السبعينيات في بحثه عن المخطوطات الإسلامية في العصر الإسلامي المبكر، وبضمنها تحليله للإستعمال المتكرر والمعاد لتوحيدية الإيقونة اليهودية والمسيحية الموجودة في القرآن وقد أدى به هذا البحث الى أن يفترض أو الى أن يثبت بأن نهوض الإسلام كان ثمرة mutation لما كان أصلا فرقة أو طائفة يهودية+ مسيحية حاولت أو جاهدت على الانتشار والتوسع في البلاد العربية، أكثر من كونه ثقافة بسيطة. وبمرور الوقت فإن الكتب المقدسة اليهودية+ المسيحية قد كيّفت الى منظور عربي وغيّرت أو حوّلت الى ما أصبح يعرف بالقرآن ذلك الذي نما وتطور عبر القرون بمساهمات من المصادر العربية المتنوعة. ويوحي بحث ونزبوروغ بأن قدرا كبيرا من التاريخ التقليدي للإسلام يبدو إن هو إلّا ابتداع أو صناعة من قبل الأجيال اللاحقة وهم ينشدون أو يبحثون تزوير وتزييف وتبرير الوجود أو الهوية الدينية الفذّة والفريدة. وفي خضم هذا المغزى والفحوى فإن شخصية محمد ربما يمكننا رؤيتها على كونها اسطورة مصنوعة

(٦٠) Ibid.

قد صنعت من أجل تزويد القبائل العربية بروايتها أو بنسختها الخاصة بها للأخبار اليهودية+ والمسيحية. إن هذا المستشرق الإسباني الحاقد جدا والمتطرف في فهمه نصّ ونزبوروغ قد أشار الى كتاب "دراسات قرآنية لونزبوروغ والى كتابه الآخر" الوسط الطائفي أو المذهبي "كمصادر في بحثه المشار اليه في أعلاه الموسوم (إشكالية أصول الإسلام في البحث الحديث والمعاصر: وداعا للرواية التاريخية الحديثية التقليدية) من دون أن يشير الى أرقم الصفحات التي وردت فيها تلك الاشارات للمستشرق ونزبوروغ. والواقع بعد متابعتي لكتاب ونزبوروغ لم أقرأ بل لم أجد مثل هذه الأقوال التي ابتدعته أحقاد هذا المستشرق على الإسلام وعلى رسول الله ﷺ، و يبدو أنه لم يقرأ الكتاب فعلا ولم يقرأ مقدمة المحقّق المستشرق أندرو ربن[٦١].

واللافت للنظر إن هذا المستشرق قد ابتدأ بحثه وكأن بحث ونزبوروغ يتعلق بالمخطوطات الإسلامية في العصر الإسلامي المبكر، وهي بداية ساذجة لأن عنوان كتاب المستشرق (هو Qur'anic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation 2004 أي دراسات قرآنية: المصادر ومناهج التفسير المتعلقة بكتاب مقدس)؛ فهو لا يعتني بالمصادر المخطوطة فحسب ضمن لوحة مصادره الأخرى لكنه اعتمد على سبعة عشرة مخطوطة من بين مصادره المطبوعة الكثيرة، وواقعا فإن البرفسور أندرو ربن محقّق الكتاب قد نصّ على أن الكثير من هذه المخطوطات هي محققة أصلا ومطبوعة إذ قال باللغة الإنجليزية ما نصّه This is one of Wansbrough›s main accomplishments as reflected in this book، which lists 17 manuscript

(٦١) Carlos Andrés Segovia، John Wansbrough and the Problem of Islamic Origins in Recent Scholarship: A Farewell to the traditional Account، P. 4 –6.

works. Notably، almost all of these books have now .been edited and published

أي وأن واحدة من إنجازات ونزبوروغ الرئيسة كالذي عكسه كتابه، إذ قدّم قائمة من سبعة عشرة مخطوطة. والجدير بالذكر أن جميع تلك الكتب تقريبا قد حقّقت وتمّ طبعها. فأين المخطوطات التي يدّعيها المستشرق كارلوس سيجوفيا. كذلك يحق لنا أن نعرض ما قاله محقّق الكتاب أندرو في هذا الشأن ليطّلع عليه المستشرق كارلوس إذ يقول: كان ونزبوروغ الشخص الأول الذي تعرض للبحث التحليلي كلّ أو جميع المجموعة الأدبية التي تتعلق بالقرون الأربعة الأولى للإسلام تلك التي تقف كدليل عن ظهور وانبثاق القرآن الى حالة من الموثوقية المطلقة في المجتمع الإسلامي. وعلى الرغم من أن هذه المؤلفات التفسيرية قد كانت معروفة وموجودة، وقد فهرسها بحرص واخلاص سزكين [يقصد هنا فؤاد سزكين] لكن لم يقرأها في الحقيقة أي عالم ولم يسعى أو يحاول أي منهم على أن يقوم بفهم أو ادراك متماسك لمعلوماتها. ينظر: Andero Rippin Qur;anic Studies، Forward ((P. XII –XIII. فضلا عن ذلك فإن المستشرق أندرو محقّق الكتاب يعرض في مقدمته خلاصات لنظرية ونزبوروغ فيما يتعلق بالقرآن الكريم، وهو هاهنا لم يقدّم شيئا ممّا يقوله المستشرق الإسباني، فعلى صفحة برقم XII يذكر هيكلية كتاب ونزبوروغ وإنه عمل بحثي اعتمد البحوث السابقة نظير استنتاجات جوزيف شاخت وإغناص جولدتسيهر، وإن محاولته في كتابه لم تضاهيها بحوث المستشرقين المذكورين توا. وعلى صفحة (رقم XIII Ibid) يذكر إن ونزبوروغ قد اندفع في كتابه لأهتمامه الواضح في الأدب بصورة عامة وبخاصة الأثر الأدبي للوثائق خلال الأزمنة الوسيطة. ويذكر أندرو على صفحةXV من المقدمة عرضا لنقد ونزبوروغ وتحليله للمروايات التاريخية والحديثية الإسلامية عن موضوع جمع

القرآن الكريم بما سمّاها حقّا بتوترات أو اضطراب tensions الرواية المجتمعية بشأن جمع القرآن، وهو تحليل نحن نؤيده وبالأخص بالنسبة الى رواية البخاري الحديثية ومن كرّرها واقتبسها عنه من مؤلفيّ السنن والصحاح والمصاحف و بخصوص معركة اليمامة وبخصوص رواية جمع الخليفة الثالث المضطربة فعلا. فليس هنالك من معلومات تسلّط الضوء على الأمور التي استثمرها المستشرق كارلوس لشنّ حملته الهوجاء وغير العلمية على الإسلام ورسوله تلك التي أظهرت توجهاته الصليبية التي تمتّ بصلة وطيدة الى كتّاب الكنيسة في القرون الثانية عشر والثالثة عشر للميلاد.

ولم تقتصر المواقف الداعمة لوجهة نظر ونزبوروغ على تلميذه ومحقّق كتابه المستشرق أندرو ربن بل اشتمل هذا الدعم على آخرين ففي مقالة لابن الورّاق على موقعه بتاريخ ديسمبر ٢٠٠٧ تحت عنوان (الشكيّة أو مذهب الشكيّة والبحث القرآني Skepticism and Koraanic Research) وهو البحث الثالث بشأن التفسير القرآني؛ ففي هذا القسم الذي جعل عنوانه الفرعي (المؤيدون وغير المؤيدين لونزبوروغ For (and Against Wansbrough ورد ما يأتي:- إن جون ونزبوروغ، بالرغم من مردوده أو نتاجه الضئيل، أكثر من أي عالم آخر قد -وبحسب قول المستشرق هربرت بيرج Herbert Berg الذي سبقت الاشارة اليه -قوض أو أضعف البحث العلمي السابق بخصوص الثلاثة قرون الأولى للإسلام. وعدد كبيرمن العلماء قد واصلوا بحثه، علما بأنه لم يضيفوا عليه شيئا أو لم يحدثوا فيه أي تغيير، وواصلوا العمل البحثي على امتداد الخطوط التقليدية آخذين بوجهة نظر عدم مصداقية المصادر الإسلامية من دون أي اعتبار. وهناك آخرون المعروفون بالتنقيحين أو بالمنادين بروح التطور والتعديل revisionism، وجدوا في المنهج الذي اتّبعه ونزبوروغ منهجا مثمرا[٦٢].

(٦٢) - Herbert Berg " The implic

وتابع كلّ من المستشرقة باتريشيا كرونه Patricia Crone والمستشرق مايكل كوك Michael Cook ما حقّقه ونزبورغ في حقل الدراسات القرآنية، إذ سعيا الى البرهنة وإقامة الدليل على إظهار الأصول المسيحية اليهودية Messianic للفتوحات العربية الإسلامية، كالذي أظهراه في كتابهما الموسوم (الهاجرية: إنشاء أو بناء العالم الإسلامي Hgarism: The Making of the Islamic World). كذلك بالنسبة الى المستشرق يهودا دي نوفو Yehuda Nevo (المتوفى سنة ١٩٩٢) والذي استند على علم النميّات وعلى الشواهد الإبرغرافية [النقوش] وعلى الموجودات الأثرية في صحراء النجف قي الأردن في دراساته لإعادة مباني التاريخ المبكر للإسلام. فهو لم يأخذ بنظر الاعتبار الروايات التقليدية في دراسة تاريخ الإسلام في القرن الأول للهجرة لكنه قام بتحليل فحوى عدد من النقوش العربية القديمة من صحراء النجف Negev ومن مناطق أخرى من سوريا الجغرافية ووصل الى نتيجة مفادها أن المعلومات التي تتضمنها هذه النقوش تدعم نظرية ونزبوروغ في عملية جمع القرآن، سواءا في تاريخ الجمع الذي يرجع نسبيا الى أواخر القرن الثاني للهجرة والقرن الثالث للهجرة. وحدّد المكان بأنه الهلال الخصيب أكثر من التحديد التقليدي السائد أي الجزيرة العربية، مكة والمدينة. فمن بين آرائه اعتمادا على هذه النقوش أن الوثنية في الحجاز خلال العصر الجاهلي هي ظاهرة قديمة وسابقة للجاهلية back projection إذ وجدت في نقوش النجف في وقت العباسيين. وأن الدراسات الأثرية قد أظهرت أنه ليس هنالك من أثر للمستقرات اليهودية في خيبر وأجزاء أخرى من الجزيرة العربية.

tion of and the opposition to، the Methods and Theories of John Wansbrough and the study of Early Islam (Berlin –New York Mouton de Gruyrer، 1997. P. 4. See Ibn al .–Warak، op. cit

وكتب قائلا:- أن القرآن يتضمن الكثير من المصطلحات الموجودة في النقوش الإسلامية من القرن الثاني للهجرة ومن الفترة اللاحقة؛ ولهذا فإنه يصل الى خاتمة لقوله بأن القرآن قد جمع بفترة متأخرة الى حدّ ما، واقصد- بحسب قول نوفو -بعد دخول هذه المصطلحات في المعجم الديني religious vocabulary.[٦٣].

محاججة نظرية المستشرق:

في البدء لابدّ ليّ من أن أبدي ملاحظة لها طابع من المعاكسة العلمية لا المحاججة العلمية فأقول إن المستشرقين يتعلقون كثيرا بالمفاهيم والآراء التي أرساها الجيل القديم من المستشرقين، وفي المحور الذي نحن بصدده هنا أي جمع القرآن الكريم، فإن المستشرقين الألمان على وجه التحديد جوزيف شاخت والمستشرق المجري جولدتسيهر الذي كتب دراساته باللغة الألمانية كانا لهما السبق العلمي في موضوعات تتعلق بالدراسات القرآنية عامة وبالذات الدراسات المتعلقة بعملية جمع القرآن خاصة كما ألمحنا سابقا بخصوص المستشرقين إبراهام جيجر وثيودور نولدكة. فهؤلاء قد أرسوا قواعد التشكيك في الأحاديث والمرويات المتعلقة بجمع القرآن وغيره من الموضوعات في التاريخ الإسلامي المبكر، وهم في هذا الأمر محقون إذ أن الداء الذي نشرته رواية البخاري ومؤلفات الصحاح ومؤلفات المصاحف تلك التي نقلت عن البخاري الرواية الضعيفة والمتهافتة والمتضاربة رواية معركة اليمامة ورواية الصحابي حذيفة بن اليمان يعدّ داءا قد انتقلت آثاره الى المستشرقين ففهموا القرآن الكريم وعملية جمعه واختلاف القراءات وكذلك في جمع الأحاديث إذ أدّى هذا الى أن ينتقل هذا المرض الى جميع عملية التدوين التاريخي في هذا الشأن وفي شؤون أخرى لا مجال لذكرها في هذا الباب، فنرى هذا المرض مستفحلا جدا في دراسات المستشرقين

(٦٣) Y.. D. Nevo، 'Towards a Pre -History of Islam، ' Jerusalem Studies in Arabic and Islam، 17 (1994)، 125 – 126

القدامى الذين نعتقد بكونهم من الوسطين أو من المعتدلين من جيل القرن الثامن عشر والتاسع عشر. غير أن أمر انتشار هذا الوباء صار مستفحلا أكثر عند الجيل اللاحق أو حتى عند نفس الجيل ونستشهد مثلا بدراسات بول كازنوفا Paul Casanova العالم الفرنسي المتوفى عام ١٩٢٦ مؤلف كتاب عن محمد والدراسات النقدية العالمية عن تاريخ الإسلام المبكر المطبوع في باريس عام ١٩١١ والفوسو منجانا Alphonse Mingana المتوفى عام ١٩٣٧ وقد ألّف هذا بحثا عن جمع القرآن وتمّ نشره في عام ١٩١٥-١٩١٦ والمستشرق الفليولوجي جنثر لولنغ الألماني Gunther Luling مؤلف نظرية أور -قرآن UrQur'an وتقسيم القرآن الى طبقات نصيّة أربعةstrata متأثرا بالفكر المسيحي في بحثه باللغة الألمانية المطبوع في ليدن عام ١٩٧٤؛ وهو يرى إن القرآن نتاج عدّة تنقيحات نصيّة reivisons. والمستشرق الألماني الفيلولوجي الآخر كرستوف لكسمبرغ Christoph Luxenberg في بحثه عن التأثير السرياني -الآرامي على القرآن؛ وهنا ربما أضمن هذه اللوحة من المستشرقين بذكر مستشرقين آخرين اهتما بمسألة جمع القرآن الكريم وهماالمستشرق الإيطالي كايتاني والمستشرق المبشر هنري لامانس. أقول أن تأثير مستشرقي الجيل الأول قد أرسى قواعد التشكيك بالأحاديث والمروايات الإسلامية، وجاء على أعقابهم الجيل الثاني من المستشرقين الجدد والمعاصرين فسعوا الى تركيز مساعيهم في الشكّ ومذهب الشكّية وتحليل الرواية بشأن التاريخ الإسلامي وبشأن جمع القرآن فوصلوا الى نتائج عدّت من قبل ناقديهم بكونها نتائج متطرفة جدا، وشخّصت في قبالة الرأي الإسلامي بكونها وجهة النظر المتطرفة الغير إسلامية. وحدّد بعض الباحثين تاريخ سيادة الرأي الاستشراقي المتطرف بخصوص القرآن الكريم وأصول جمعه بالأربعين سنة الماضية، ويقف المستشرق ونزبوروغ على رأس قائمة المتشددين أو المتطرفين

في نظرتهم الى عملية جمع القرآن والى هيكلية ومتن ومحتوى السور والآيات القرآنية عامة.

أعود ثانية الى فكرة المعاكسة العلمية فأقول أن موقف المستشرقين هو بعينه الموقف الذي وقف فيه الكفّار من قريش في مكة والمنافقين واليهود في المدينة، فالكفّار وبحسب ما جاء ذكرهم في القرآن الكريم ومباشرة بعد تلقي النبي الوحي عقدوا اجتماعا للتعرف على ما أنزله الملك -الوحي على النبي وكان الاجتماع بزعامة الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي أحد قادة قريش في العصر الجاهلي؛ فاعتمادا على الرواية الزبيرية التي أرجع محمد بن إسحق سندها الى وهب بن كيسان مولى عبد الله بن الزبير الى أنه عندما انتشر حديث الوحي الذي نزل على رسول الله اجتمع الوليد بن المغيرة القرشي هذا برجال من قريش في وليمة وسأل المغيرة الرجال عن محمد فقال بعضهم إنه ساحر وقال البعض الآخر إنه ليس بساحر مجنون إنّما هو شاعر وقال آخر إنه مجنون، هنا انبرى الوليد فقال إنه ساحر وأن الذي يقوله ما هو إلّا سحر يؤثر (ينظر الطبري؛ محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك جزء ٢ ص ٤٧). وهكذا بدأ موقف قريش والكفّار في مكة المكرمة من القرآن والنبي ﷺ لا يتعدى مثل هذه الوصفات أمّا شاعر وأمّا كاهن و أمّا مجنون أو أن مأنزل عليه إن هو إلّا أضغاث أحلام (ينظر سورة الأنبياء آية رقم ٥ ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾، وبمرور الزمن تعلّق المشركون الكفّار والمنافقون واليهود بوصفة جامعة أخرى ألا وهي أن ما ينزّل على الرسول إن هو إلّا أساطير الأولين، بمعنى أساطير وقصص خيالية موروثة من الأمم الخالية والماضية، وهم بالتأكيد يقصدون أساطير أعجمية أي لاتينية أو سريانية أو حتى يهودية، عندها بدأت عملية من المواجهة بين الله سبحانه وتعالى ورسوله العظيم من جانب وأولئك

الثالوث من الكفّار والمنافقين واليهود حول مسألة اختزلت جميع الوصفات السابقة بوصفة واحدة وهي أن القرآن ليس من الله تعالى وإنّما من الرسول فقد كتبه بنفسه وبايعاز من شخصية أجنبية دخل ضمن قائمتها ورقة بن نوفل النصراني وبحسب رواية البخاري في صحيحه:- كان ورقة امرءا قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب بحسب ما جاء في نصّ رواية البخاري؛ صحيح البخاري جزء ١ ص ٣ - ٤) وعرّف أيضا بأنه كان يقرأ التوراة والإنجيل وبحيرا الذي كان يقرأ السريانية وربما العبرية وشخص آخر هو عدّاس الذي كان يعرف السريانية أو اللاتينية أو العبرية، وكان عدّاس نصرانيا من أهل نينوى (ابن هشام؛ السيرة النبوية جزء١ ص٤٠٥- ٤٠٦ ان كثير؛ البداية والنهاية جزء ٣ ص ١٩ - ٢٠). ففي رواية يرجع سندها الى الحافظ سليمان بن طرخان التيمي أوردها ابن عساكر أن السيدة خديجة الكبرى عندما أعلمها رسول الله ﷺ بالوحي قالت «ابشر فو الله لقد كنت أعلم أن الله لن يعمل بك إلّا خيرا وأشهد أنك نبي هذه الأمة الذي تنتظره اليهود، قد أخبرني به ناصح غلامي وبحيرة الراهب، وأمرني أن أتزوجك... ثمّ خرجت الى الراهب وكان قريبا من مكة [قيل في رواية إنه الراهب سرجيوس].... الخ الرواية» (رقم ابن عساكر؛ تاريخ دمشق جزء ٦٣ ص ١٧ - ١٨). هاهنا يقدّم القرآن الكريم طبيعة الوصف الفيلولوجي واللغوي للتأثيرات التي أثّرت على نزول أو كتابة أو قراءة أو سماع آياته أو أي من تلكم الحالات. ولتأكيد وثاقة هذه المرويات الأجنبية وتأثيرها على الإسلام كما استنتجها المستشرقون فأن هنالك آيات قرآنية كريمة تبين الأثر الفيلولجي الأجنبي على القرآن الكريم. فجاء في سورة النحل ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ آية ١٠٣.

وقوله تعالى في سورة فصلت ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ آيات ٤٣، ٤٤. وجاء في سورة الشعراء عدّة آيات بيّنات في هذا الخصوص قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ آيات ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩. فالملاحظ في هذه الآيات البيّنات أن الذين وصفوا بكونهم يعلّمون النبي القرآن كانوا أعاجم -أعجمي -وهذا التعبير لا يقصد به إطلاقا الأعاجم من إيران الذين يعرفون البهلوية والفارسية، إنّما المقصود في التعبير أمّا السريان من بلاد الشام أو اليهود من مدينة رسول الله (يثرب) أو من بلاد الروم كحالة عدّاس أو آراميين كحالة الراهب الذي قابل السيدة خديجة. ومهما يكن من أمر فأن ما ذكره المستشرقون في القرون التاسع عشر والعشرين والواحد والعشرين قد تناوله بله شخّصه القرآن ذاته. وللمعاكسة العلمية فأن ما ورد في القرآن الكريم والمرويات التاريخية هي بالأحرى تدخل في الاستشراق من قبل أن يخلق المستشرقون. ومن جانب آخر فأن ما استنتجه جولدتسيهر وشاخت وشاولي وكيتاني ولامانس عن عدم الثقة بالأحاديث والمرويات التاريخية فهي الأخرى قد وضّحها الله تعالى ورسوله في مسألة الكذب على الله ورسوله والكذّابين التي تكرر ذكرها كثيرا جدا في القرآن الكريم؛ وقد تحدى اللهُ -سبحانه -هؤلاء أن يأتوا بسورة واحدة أو بعشر سور مثل سور وآيات القرآن الكريم ففي سورة هود آية رقم ١. وفي آية أخرى من

نفس السورة المباركة قوله تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [سورة هود: ١٣ -١٤]. ونقرأ في سورة الشعراء آيات بيّنات منها قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ آيات ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩. كذلك نقرأ في سورة يونس بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة يونس: ٣٨]. وجاء في سورة العنكبوت بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ آية ٤٥، وقوله تعالى في الآية نفسها ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ آيات ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١. وقال الله تعالى في سورة الحاقة في القسم بالقرآن الكريم ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴾ آيات ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣،

٤٤. فهذه الآيات الكريمة تفنّد أقاويل المستشرقين الذين ظلّوا مستمرين على الإبقاء على الموروث الإستشراقي الذي ابتدأه مستشرقوا الجيل الأول. ولينظر القاريء اللبيب الى هذه الآية في سورة الأنعام إذ قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ آيات ٧، ٨. ثمّ قال الله تعالى في نفس السورة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ آيات ٢٠، ٢١. وفي سورة التوبة جاء ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ آية رقم ٦١. وجاء في سورة هود ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ آية ١٣. وفي سورة إبراهيم ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ آية ٤. وجاء في الذكر الحكيم في سورة التوبة ﴿ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ آية ٦٤. وفي آيتين لاحقتين من سورة الزّمر يقول الله ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ آية ٢٧، ٢٨. وجاء في هذه السورة قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ آية ١٣٦. وفي آية لاحقة يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ

﴿ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ آية ١٤٠. وفي سورة الفرقان قال الله تعالى ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ آية ٥. وجاء في هذه السورة المباركة أيضا ﴿ وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾ آية رقم ٤١. وجاء في سورة إبراهيم عليه السلام ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ آية ٤. وهكذا الحالة في باقي الآيات والأحاديث إذ أن الكذب على الله وكتابه القرآن وعلى رسول الله كان موجودا في المجتمعين المكّي والمدني ومسألة إيذاء الرسول والتآمر على قتله كذلك وفرته الآيات الكريمة والأحاديث حتى أنه صلى الله عليه وآله قال (من كذب علي متعمدا فليتبؤا مقعده من النار) رواه البخاري في صحيحه. فلا جدال من أن الكثير من الأحاديث التي جاءت في مؤلفات الصحاح كانت محرّفة ومزيفة وغير متواترة، وكذا الحال بالنسبة الى المرويات التاريخية حتى أن الطبري أراد في مقدمة تاريخه أن يبرأ نفسه من الكذب في الرواية التاريخية من جهة ومن أن مرويات كثيرة أخرى قد احتواها كتابه عرضة للشكّ كونها غير موثوقة ولا يمكن تصديقها فذكر أنه لم يكن سوى جامع للروايات لا مؤلف لها ولهذا فالعهدة إنّما تقع على راويتها. وخلاصة هذه المعاكسة العلمية أن مذهب الشكّية في قبول الروايات والأحاديث أمر واقعي وموجود في المؤلفات الحديثية والتاريخية، فلماذا إذن ألّف علماء الجرح والتعديل مؤلفاتهم عن تجريح الرواة والروايات وتصنيفهم تصنيفا يعكس للباحث والقارئ والعالم أن هذه الشخصية من الرواة جديرة بالثقة أم أنها شخصية كاذبة بل مثلا في حالة سيف بن عمير الأسيدي أنها شخصية متزندقة وكاذبة ولا يعتدّ بأحاديثه، بينما في طبقة أخرى من الرواة يقول علماء الجرح والتعديل أنه ثقة أو ثقة ثقة أو ثقة ثقة ثقة (ثلاث مرّات ثقة).

فممّا هو معروف أن هناك مجموعة

غير قليلة من الرواة إن كانوا من جيل عصر الرسالة أو من التابعين وتابعيّ التابعين قد أفرطوا في رواياتهم للأحاديث الضعيفة وغير الموثوقة والكاذبة عن سيرة رسول الله ﷺ حتى إن علماء الجرح والتعديل قد ركّزوا على ذلك بقولهم إن فلان مكثر في روايته للأحاديث. فالإكثار من رواية الحديث لعلنا نخرجّها تخريجا علميا بكون هذا الراوية أو ذاك كان من كبار التابعين وهو أمر قد يستلزم إكثاره من رواية الأحاديث، غير انه من الجانب الأخر يعد الإكثار عند العلماء صفة سلبية فالإكثار من شيء حالة منها مبالغة وعلو ولعله يثير شكوكاً بما له علاقة بحالة وضع الحديث الفلاني او ان الحديث الفلاني لم ترو حلقته المباشرة نقلاً سليماً او يحتمل ان يكون راوية هذا الحديث منقطع او ان بينه وبين راوية او حلقة أخرى في الرواية قفزة او غير ذلك من الأسباب التي تدعو الى الوقوف مليّاً في مسألة تفحص صحة هذا الحديث او ذاك. وواقعياً فان اللوم في حالة إكثار عروة من الحديث الشريف قد لا ينسب إليه مباشرة إنما الى ابنه هشام الذي وصف بكونه مكثراً ومتساهلاً في رواية حديث والده بعد انتقاله الى العراق على وجه الخصوص يذكر ابن حجر العسقلاني عن المدلسين بان هشام بن عروة تابعي صغير مسهو فان الحكاية المشهورة عنه انه قدم العراق ثلاث مرات ففي الاولى حدث عن ابيه فصرح بسماعه وفي الثانية حدث بالكثير فلم يصرح بالقصة وهي تقتضي انه حدث عنه بما لم يسمعه فيه وهذا هو التدليس. هذا الموقف السلبي من الاكثار موجود حتى في زماننا اذا اعتدنا ان نصف الباحث الفلاني بانه مقل والاخر انه مكثر، وكلاهما صفتان ينتقد عليها، وقد اورد الذهبي في التذكرة ان الخليفة عم بن الخطاب رضي الله عنه امر بحبس ثلاثة من الصحابة المعروفين هم:- عبد الله بن مسعود وابو الدرداء وابو مسعود الانصاري قائلاً لهم انكم ((اكثرتم الحديث عن رسول الله ﷺ)).

ولتوضيح موقف الخليفة اكثر من حالة

الاكثار في رواية الحديث نضرب مثالاً عن ابي هريرة الدوسي الذي نال شرف صحبة الرسول ﷺ فامتدت صحبته سنة واحدة وتسعة شهور وفي رواية اخرى انه صحب الرسول مدة ثلاث سنين وفي مقابل هذه المدة القصيرة لصحبته عدّ من اكثر الصحابة حديثاً عن الرسول فذكر ابن حزم عن مسند بقي من مجلد احتواه على (٥٣٧٤) حديثاً من احاديث ابي هريرة وقد اخذ البخاري منها (٤٤٦) حديثاً فقط واهمل الباقي. ولا غرابة في هذه الحالة ان يتحدث ابو هريرة نفسه قائلاً بانه من اكثر الصحابة رواية للحديث كما انه ليس هناك من يضاهيه بكثرة الحديث سوى عبد الله بن عمر وعلق نفسه على ذلك بقوله ان عبد الله كان يكتب الحديث بينما هو لم يكتبه. وقد ذهب عدد من الصحابة هذا المذهب في انتقاد ابي هريرة بالنسبة الى كثرة احاديثه فكان الامام علي عليه السلام سيء الرأي في ابي هريرة اذ جاء في شرح نهج البلاغة قوله «لا احد اكذب من هذا الدوسي على رسول الله ﷺ»[٦٤]. وتحدث ابن كثير عن موقف الخليفة عمر رضي الله عنه وتنبهه الى مسألة خطورة ابي هريرة في الاكثار من الحديث اذ استدعاه وزجره ونهاه عن الحديث مهدداً اياه بالنفي الى ارض دوس وللخليفة تبريره في الوقوف ضد الاكثار من الحديث، اذ يذكر ابن كثير رواية عن ابي زرعة ان ((هذا محمول من عمر على انه خشي من الاحاديث التي قد تضعها الناس على غير مواضعها... وان الرجل اذا اكثر من الحديث ربما وقع في احاديثه بعض الغلط او الخطأ فيحملها الناس عنه او نحو ذلك)) فقد قال الخليفة لا بي هريرة ((لتتركن الحديث عن رسول الله ﷺ ولا تحضك بارض دوس)، (وقيل بارض القردة)[٦٥]. مع ان الخليفة تراجع عن قراره هذا كذلك

(٦٤) تذكرة الحفاظ (تحقيق زكريا عميران/ بيروت ١٩٩٨ جـ ١ ص ٧ الحر العاملي، تفصيل وسائل الشيعة طبعة ثانية تحقيق مؤسسة آل البيت، رقم ٤١٤، جـ ١ ص١١.

(٦٥) م. ن.

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها اشد الصحابة انكاراً على ابي هريرة وكانت تتساءل متعجبة عن كيفية سماع ابي هريرة وحده هذا الحديث او ذاك، وتستفسر ان كان هناك صحابي او رواية اخر قد سمع هذا الحديث معه؟.

وهناك جانب أخر مهم جدا ألا وهو اختلاف مؤلفات الصحاح والمفسرين والمؤرخين الذين اعتمدوا اعتمادا كبيرا في موضوع المبعث ونزول أول سورة على قلب رسول الله وسيادة الرواية تلك التي سادت -كونها آيات من سورة (اقرأ) على الرغم من الحديث الذي رواه جابر الأنصاري من إن آيات من سورة (يا أيها المدثر) هي الآيات الأولى ومع هذه وذاك فان سورة (ن، والقلم) تتضمن مؤشرات حول مرتبة نزولها.

الذي نعتقده في هذا المجال وحسب تسلسل أحداث الوحي ونزول القرآن الكريم إن الرسول قد تلقى آيات (اقرأ) وبعد مغادرته الغار او المكان الذي التقى فيه بجبرائيل متوجهاً إلى منزله شاعت أخبار الوحي في الوسط الوثني المكي ويحتمل ان هذه الأحداث استغرقت مدة من الزمن إذ بدأ الوثنيون يتناقشون في آيات (اقرأ) وانقسموا إلى رأيين احدهما يرى إن الرسول كان ساحراً والأخر انه كان مجنوناً. ولما وصلت هذه الأخبار إلى النبي تفجر كثيراً وحزن من موقف المكيين من الرسالة فاستسلم للنوم، حينئذ جاءه الوحي ليأمره بالإعلان عن رسالة السماء. وهنا أيضا فان الإشارة إلى سورة (ن والقلم) ملائمة جداً في الرد على مزاعم الغار.

ولهذا علينا ان نلفت الأنظار الى رواية الزهري الوحيدة بشان فتور الوحي وان نعيد النظر فيها لكونها تعكس صورة سلبية عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حول اختياره الانتحار وإلقاء نفسه من الجبال الشواهق بسبب فتور الوحي، وانه قد كرر محاولاته في الانتحار- حسب رواية الزهري -وذلك لتكرر حالات الفقور في نزول الوحي، وهذا الأمر بعيد عن الصحة ويجب الغائه لانه

يصدر الرسول بهذا الشكل المتردد وغير الموقن برسالة الله لاسيما إن هناك عدداً من الروايات لا تذكر حالات الفقور والانتحار هذه. ولعل أفضل وصف للفترة بين نزول الوحي وشيوع النبأ وحزن الرسول للإشاعة القرشية ونومه ونزول (يا أيها المدثر) وفي الوقت نفسه آيات (ن والقلم) لدعم الرسول وتثبيت موقفه وانه ليس مجنوناً رداً على مزاعم الكفار. كل ذلك يحتمل أن يكون فترة واحدة متصلة البناء وقد استغرقت مدة من الوقت وعلى هذا الأساس تفاوتت أراء العلماء في مدة فتور الوحي منهم من قال بأنها ليلة واحدة وآخرون ليلتان وغيرهم ثلاث ليالٍ. وهناك من جعل الفتور لسنتين لا ليلتين وغيرهم قال أنها سنتان ونصف وهكذا وفي غضون هذه المدة التي انتشرت فيها أخبار الوحي والرسالة السماوية وتعليم الملك النبيﷺ الصلاة، واعتناق المسلمين الأوائل الإسلام كل هذا من جهة يقابله ردود فعل المكيين الوثنيين التي تركزت على محاولة إيجاد تفسير وتفهم لحالات الوحي وتلقي الرسول الآيات القليلة إلى حد ما تلك التي تندد بالرجس من الأوثان وتأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقبل كل شيء الآيات التي تصف أخلاق الرسول الكريم وسلوكه وانه نبي لا ساحر ولا مجنون ولا كاهن ولا شاعر وتوجيه الأذهان نحو بعض التعاليم الإسلامية المباشرة من الجهة الأخرى كانت آيات من (أقرأ) و (يا أيها المدثر) و (ن والقلم) و(الانعام كما روى حديثها الامام عليعليه السلام لانها آيات تتطرق الى التعاليم ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ متداولة وقد نزلت على رسول الله.

للبحث صلة ان شاء الله -تعالى- في العدد القابل.